تأليف

جمال بن محمد بن عبدالرحمن العطّاس

الوزير المحضار

بين قراءتين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله تعالى عن صحابته المهتدين ومن اتّبعهم واقتفى آثارهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

قبل أن نوقف القارئ الكريم على قراءتين مختلفتين لتاريخ السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ، يحسن بنا أن نقدّم هذه المقدمة البسيطة عن التاريخ وعن أسباب كتابة هذه القراءة ومقارنتها بقراءة أخرى فنقول :

ان علم التاريخ من أجلّ العلوم وأشرفها وقد كتب العلماء عن شرف هذا العلم وفضله وقبل أن نلقي الضوء على شرف هذا العلم وفضله يستلزم منّا أن نعرّف التاريخ أولا .، قال الحافظ السخاوي في مقدمة كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ) ما نصّه :

(التاريخ في اللغة : الإعلام بالوقت يقال أرخّت الكتاب وورخته ، أي بيّنت وقت كتابته قال الجوهري : التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله يقال أرخت وورخت وقيل اشتقاقه من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرها وهو : الأنثى من بقر الوحش لأنه شيء حدث كما يحدث الولد وقد فرّق الأصمعي بين اللغتين فقال بنو تميم يقولون : ورخت الكتاب توريخا وقيس تقول : أرخته تأريخا وهذا يؤيد كونه عربيا وقيل أنه ليس بعربي محض بل هو معرّب مأخوذ من ماه روز بالفارسية

تأريخا وهذا يؤيد كونه عربيا وقيل أنه ليس بعربي محض بل هو معرّب مأخوذ من ماه روز بالفارسية حتى قال : قال أبو منصور الجواليقي في كتابه المعرّب من الكلام الأعجمي يقال ان التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وانما أخذه المسلمون من أهل الكتاب ... الخ) أهـ

أمّا في فضل التاريخ فقد قال الحافظ السخاوي أيضا ما نصه : (فلما كان الإشتغال بفن التاريخ للعلماء من أجل القربات بل من العلوم الواجبات المتنوعة للأحكام الخمسة بين أولي الاصابات ولكن لم أر في فضائله مؤلفا يشفي الغليل ويزيل الكربات بحيث تعرّض للتنقيص له ولأهله بعض أولي البليات ممن هو ممتحن بالجليّات فضلا عن الخفيّات فأردت اتحاف العارفين السادات وكذا التائقين للأمور المفادات بما لا غناء عنه في هذا الشأن من المهمات وان اظهر مافيه من الفوائد المأثورات) أهـ .

وقال أيضا في فضل علم التاريخ ما نصه : (قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي : انه علم يستمتع به العالم والجاهل ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل ، فكل غريبة منه تُعرف وكل أعجوبة منه تستظرف ، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس ، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس ، يجمع لك الأول والآخر والناقص والوافر والبادي والحاضر والموجود والغابر ، وعليه مدار كثير من الأحكام وبه يتزيّن في كل محفل ومقام) أهـ

والكلام في فضل علم التاريخ وفوائده طويل الذيل ، ولكننا نكتفي بذكر القليل ، مماذكره الحافظ السخاوي في فضله ، ومن أراد الاستزاده في معرفة فضله وأصله فعليه بما كتبه الحافظ السخاوي وضمّنه كتابه المذكور آنفا .

أمّا الحديث عن المؤرخين والشروط التي أوجب أهل العلم توفّرها في المؤرخ فيكفي أن ننظر إلى ماكتبه الحافظ تاج الدين السبكي في قاعدته الشهيرة (قاعدة في المؤرخين) قال مانصه :

يُشترط في المؤرخ :

(١) الصدق :

(٢) إذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى :

(٣) أن لايكون ذلك الذي نقله أخذمن المذاكرة وكتبه بعد ذلك .

(٤) وأن يسمّي المنقول عنه .

وقال أيضا مانصه : ويشترط فيه ايضا لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يطوّل في التراجم من النقول ويقصّر :

(١) أن يكون عارفا بحال صاحب الترجمة علما ودينا وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جدا .

(٢) وأن يكون حسن العبارة وعارفا بمدلولات الألفاظ .

(٣) وأن يكون حسن التصوّر ، حتى يتصوّر حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ويعبّر عنه بعبارة لاتزيد عليه ولا تنقص عنه .

(٤) وأن لايغلبه الهوى ، فيخيّل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبّه والتقصير عن غيره بل إما أن يكون مجردا من الهوى وهو عزيز واما يكون عنده من العدل مايقهر به هواه ويسلك طريق الإنصاف .

هذه الشروط التي ذكرها وماقيل في هذا الباب يمكن للمهتم الرجوع إليها في مظانها للوقوف عليها ومعرفتها . فإذا كان هذا يجب توفّرها في من يؤرخ للأحداث وتراجم وشرح مواقف الرجال ، فيابال من يقرأ ليبحث ويحلل ويناقش هذه الأحوال والمواقف والأقوال ؟ فحريٌ به أن يكون من المنصفين المتحققين بهذه الشروط حتى يمكنه قراءة وبحث ومناقشة أقوال وأحوال من مضى ، بتجرّد عن الميل والهوى .

ومع كل هذا التشدد والإحتياط ، والمبالغة في التقييد والاشتراط ، فهناك ممن كانوا من أهل التفريط أو من أهل الإفراط ، ممن تصدّوا لكثير من الفنون والعلوم ولم يكونوا أهلها فلم يعرفوا لتلك العلوم والفنون شرفها وفضلها ، فكانت قراءتهم لبعض الأحداث وبعض سير وتراجم الرجال قراءة مغلوطة ، فلذلك إخترنا لبحثنا هذا عنوانا يحمل في دلالته الفارق بين القراءات فاخترنا له العنوان التالي : (الوزير المحضار بين قراءتين) .

وحتى نوقف القارئ الكريم على الأسباب الحقيقية التي جعلتنا نقرأ هذه القراءة ونقارنها بقراءة أخرى في شأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى وبحث وتحليل ومناقشة ما ضمّنته تلك القراءة من استنتاجات ونقولات نقول :

أوقفنا الأخ الكريم حسن بن عبدالقادر بن حامد بن علوي البار حفظه الله تعالى على موضوع في احد المواقع الالكترونية على شبكة المعلومات الدولية (internet) ، بعنوان : ﴿ الشاعر الوزير حسين بن حامد المحضار تحت دائرة الضوء ﴾ وطلب منّا أن نقوم بقراءة هذا الموضوع والإطلاع عليه والوقوف على تفاصيله وقفة بحث وتحليل ومناقشة والتحقق مما تضمّنه هذا الموضوع وما استند عليه كاتبه من مصادر أو مراجع ذات الصلة والوقوف على صحة نقله من تلك المصادر .

إلاّ أننا قد أهملنا هذا الموضوع إستعاضة بغيره أولا ولأسباب شتى ثانيا : منها أننا لسنا في فسحة من الوقت ولا يتيسّر لنا منه إلاّ القليل ، ولايمكن بحال أن نصرف ما يعز علينا في قراءة أطروحات المجاهيل ، في المواقع الألكترونية المختلفة ، عملا بما قاله العلاّمة محمد بن عقيل بن يحيى رحمه الله تعالى في كتابه ثمرات المطالعة قال : (مواقيتك يواقيتك) ، وعندما سنحت لنا أول فرصة قمنا بالإطلاع على الموضوع والوقوف عليه وقراءته مرات عدّة ، عندها عرفنا وتأكّد لنا أهمية قول الأخ الكريم حسن بن عبدالقادر البار وطلبه منّا المرور على الموضوع وقراءته وعرفنا أنه يريد أن يسمع منّا رأيا فيه فلذلك نقول :

أولا : هذا الموقع الالكتروني الذي نُشر فيه هذا الموضوع لا نقول انه من المواقع الالكترونية اليمنيّة الرائدة خصوصا إذا ما طُبّقت شروط الريادة تطبيقا صارماً ، ولكن يمكنا القول بأنه من المواقع الالكترونية الذائعة الصيت التي يرتادها الكثير بمختلف ثقافاتهم وتوجهاتهم فضلا عن تفاوت تحصيلهم العلمي ومخزونهم المعرفي وطالما هذه صفته وهذا حاله فلايمكن بحال

من الأحوال إدراجه ضمن منتديات النخب الفكرية التي تجمع أهل الإختصاص من الباحثين والمفكرين والأدباء والشعراء .

ثانيا : لم يكن هذا الموقع غريبا علينا كغيره من المنتديات التي تعج بها الشبكة الدولية والتي شاركنا فيها بعضويتنا أو بإشرافنا عليها أو على بعض أقسامها ، فقد كنّا ولازلنا نحتفظ بعضويتنا فيه ولنا العديد من المشاركات والأطروحات والجدل الفكري إلاّ أننا تركنا المشاركة فيه في السنوات الأخيرة ، بعد أن تأكّدنا بأنه لن يضيف إلينا شيئا ، عطفا على رسوخ قناعاتنا بأن مجهوداتنا تذهب أدراج الرياح في ظل التحاور مع الأشباح المتخفّية تحت المسميات الوهمية ، كما أننا لم نكن من الأعضاء في ذلك المنتدى فحسب بل كنّا من الهيئة الإدارية له وقمنا بالأشراف على بعض أقسامه بل كنّا من ضمن نوّاب المشرف العام _ مالك الموقع _ وعليه فإن لنا سابق خبرة وإلمام بهذا الموقع وطبيعة أطروحات الأعضاء ومشاركاتهم .

ثالثا : أن كاتب هذا الموضوع هو من الأعضاء بل من ضمن الهيئة الإدارية لهذا الموقع وهو ممن يمارسون الكتابة بالتخفّي تحت المسميات المستعارة ، وقد سبق لنا الحوار معه في هذا الموقع ومناقشة الكثير من الأطروحات والمشاركات ، وكانت لنا مع هذا (المتخفّي) خلافات فكرية حادّة منها أننا أثبتنا عليه سرقته لموضوع عن (الدان الحضرمي) للصبّان رحمه الله تعالى ، فقد قام هذا (المتخفّي) بنسبة هذا الموضوع لنفسه وزعم بأنه من تأليفه في الوقت الذي نقل هذا الموضوع برمته من كتاب الدان الحضرمي للصبّان المذكور ، ولم يشر للصبان من قريب ولا من بعيد ، وقد كان للأستاذ علي أحمد بارجاء دورا بارزا في هذا الأمر وكانت له وقفة جادة أثبت فيها صحة قولنا

رابعا : قد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم أننا نرد في هذه القراءة على مجهول وبالتالي فهذا ضرب من العبثية فلذلك نقول : لاشك أن لكل مايكتب أهمية بالغة حتى وان كتبها من كان متخفيا ومن وقف على ماكتبه (اخوان الصفاء) يدرك أهمية ماكتبوه وما رُد عليهم فيه ، ومن واقع تجربتنا السابقة ومعرفتنا لهذا الموقع والعديد من الأعضاء فيه ووقوفنا على مشاركاتهم وقفة بحث وتحليل ونقد ، استطعنا بحمد الله الكشف عن هوية هذا المتخفّي ومعرفة اسمه الحقيقي معرفة يقينيّة وذلك من خلال كتابته للعديد من المواضيع في هذا المنتدى وغيره بعد أن نسبها إلى نفسه بالإسم المستعار الذي يستخدمه ، إلاّ أننا وجدنا الكثير مما يكتبه في المنتديات بإسمه المستعار قد أدرجه _ حرفيا _ ضمن مؤلفاته المطبوعة التي تحمل إسمه الصريح .

منها كتابا عن : (أحد رموز التصوّف الحضرمي) في القرن العاشر الهجري ومنها كتاب عن ظاهرة : (القنيص) بحضرموت ، ومنها كتاب عن : (أباضية عمان وحضرموت) وله بعض المشاركات التي ينسبها لنفسه تحت مسمّاه المستعار الذي يستخدمه وهي من تأليف آخرين إلاّ أنه يقوم بتحريرها وإضافة بعض التعديلات عليها أمّا بترا أو إضافة ويقدّم فيها ويؤخّر ثم ينسبها إلى نفسه كما فعل في موضوع عن (الدان الحضرمي) .

وحتى لا نطيل المقام في هذا الباب والإستطراد في الحديث عن هذا الموقع الألكتروني الذي يكتنز الكثير من الأطروحات الجادة التي قدّمها بعض الأعضاء الذين نحسبهم ممن ينتسبون إلى الأدب إلاّ أن غلبة ممن لا أهلية لهم وهيمنتهم على هذا الموقع وإغراقه بالطرح المسف تارة وبالتهاترات والمكايدات تارة أخرى أفقدت هذا الموقع جزءا كبيرا من تميّزه وخلطت غثه بسمينه فإستنكفت بعض الأقلام الجادة عنه وهجرته بعد شعورها بأنه لم يعد يليق بمقامها فيه أو إرتياده .

وبعد كل ذلك علينا الولوج إلى صلب الموضوع ووضع ما كتبه المدعو : (أبو عوض الشبامي) عن السيد الوزير الشاعر حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى تحت عنوان ﴿ الشاعر الوزير حسين بن حامد المحضار تحت دائرة الضوء ﴾ قيد البحث والمناقشة والتحليل ، وقراءة الموضوع والنظر إلى ماكتبه نظرة نقدية مجرّدة نثبت من خلالها ماصح من أقواله ونظهر بطلان ما بطل منها بالدليل ، بعيدا عن العصبية أو الميل مع الإحتفاظ التام بحق شخص الكاتب والموقع وجميع من ينتسب اليه من الإحترام والتقدير ، وسنطلق على المردود عليه صفة (المتخفّي) فيما يأتي طلبا منّا للإيجاز والإختصار فنقول بحمد الله تعالى وبعد الإستعانة به سبحانه مايلي :

كتب المدعو (أبو عوض الشبامي) في موقع سقيفة الشبامي يوم : ٨/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية في المشاركة رقم (١) مانصه على الرابط الألكتروني التالي :

http://www.alshibami.net/saqifa/showthread.php?t=85467

(الشاعر الوزير حسين بن حامد المحضار تحت دائرة الضوء)

فطن مؤسس الدولة القعيطية في حضرموت الى أهمية تحالف المؤسسة القبلية العشائرية الحاكمة مع المؤسسة الدينية ، وهذه العلاقة الجيدة بين تلك المؤسستين منذ قيام الدولة القعيطية

هي التي اعطت الدولة القعيطية ديمومة الاستمرار ردحا من الزمن ، وقد مثل بعض من العلويين المؤسسة الدينية ، ذلك لقوة نفوذهم الروحي ، وكفاءتهم والأهم من ذلك نسبهم الشريف الذي يضعهم في أعلى قمة السلم الطبقي في حضرموت.

وبرز السيد حسين بن حامد المحضار من وسط تلك المؤسسة الدينية التي خدمت الدولة القعيطية ومكنتها من بسط نفوذها وهيمنتها على أوسع رقعة في حضرموت ، وتحت الغاية تبرر الوسيلة كان دور السيد حسين بن حامد المحضار دور رجل السياسة أكثر منه أن يكون دور المصلح الديني أو رجل الدين الاصلاحي . لهذا لجأ السيد حسين بن حامد المحضار الى كل الوسائل والتي منها ما تفتقر الى اخلاقيات وشرف المبادئ الاسلامية ولكنها في السياسة وفي سبيل الحكم تعد (شريفة ومشروعة) ولها ما يبررها ، حيث لايوجد في قاموس السياسة شئ اسمه الأخلاقيات أو الشرف المهني . فالغاية تبرر الوسيلة .

وربما امتعض كبار اعيان العلويون في حضرموت من سلوك السيد حسين بن حامد المحضار حيث يفضلون ان لايكونوا طرفا في النزاعات العشائرية التي تنشب في سبيل الشهوة للحكم وبسط النفوذ .

وكانت هذه المعارضة والنقد الشديد لايلق آذانا صاغية من قبل السيد حسين بن حامد المحضار والذي سعى جاهدا لإرضاء اهواء نفسه واشباعها بحب الظهور والزعامة . حتى ولو قام بقمع معارضيه واستغلال نفوذه في قمع العلويين من ابناء عمومته لاسباب الخلافات الشخصية بينهم وبينه او بينهم وبين احدا من اسرته وأقاربه من المحاضير. وهذا ما كتب عنه العلامة السيد عبدالرحمن بن عبيدالله حين قال :

(وفي أيام السلطان غالب تأصلت ضغائن ما بين ابوبكر بن حسين المحضار والسيد محمد بن عمر باعقيل ، انتهت بالثاني الى أن استجار بالدّين فاعطوه وجوههم وهم وآل بامسدوس والمشاجرة وآل هميم ، ولما جد الجد قال له الأخيران إنا لانجيرك من الدولة ولكن من سواهم واما آل بامسدوس ورئيسهم سعيد بن سالم باغشمي فثبت معه ، فلم يكن من السيد حسين بن حامد إلا أن زحف بعسكر يتألف منه اثنين وأربعمائة يرأسهم السيد عبدالرحمن بن حامد ومحمد بن عمر باصره ، وتقدمت تلك العساكر الى مكان يقال له الأبيضين ، والى آخر يقال له وليجات ، ودام الحرب نحوا من ثلاثين يوما ، حملت فيه العساكر مرتين ثم تراجعت بعد ان قتل منها نحو من عشرين نفرا ، بدون أن يقتل احد من الدّين ، ولكن حامية قارة صغيرة هناك (أرتشت) من جانب السيد حسين بن حامد بخمسمائة ريال ، فظهروا على (الأبيضين) وضربوا المدافع ، إليه ، وطلبت الدّين من السيد باعقيل مساعدة ليواصلوا القتال فلم يعطهم قليلا ولا كثيرا ، وبإثر ذلك توسط السيد عمر بن طاهر الحداد والشيخ محمد بن بوبكر باسودان ، ولينوا للدّين تسليم باعقيل ومحالفة الدولة القعيطة ، ففعلوا ورهنوا لها أولادهم ، إزاء دراهم كثيرة تسلمها رؤساءهم ، وعندما وصلوا بباعقيل مصفدا الى (مصنعة عورة) قال السيد حسين بن حامد :

حيّا وسهلا بالمناصب والدوّل ** حيّا بيافع يوم جابوا باعقيل
يومه مطرّد من جبل لّا جبل ** ماحاسب إنّا بانردّه بالصميل

وقال أيضا :

حيّا بكم ياللي قضيتوا شفّكم ** بالسيف والقدرة وصرّات الخزين
ما الدّيني شـل الحمولة مثقله ** كنّه طـرحها بعد ذلك ياهوين

فاجابه الشاعر أحمد بن عبيد بن مسلم بن ماضي بقوله :

لولا قروشك لي معك قدّمتها ** جيشك رجع مكسور ياسيد حسين
وإلاّ الوعـول المربعيّـة شفتها ** عيـال يافع في المقـابر من ثنين

من خلال ما كتبه السيد بن عبيدالله نستشف صورة وجزيئة تعبر وبجلاء عن سلوكيات السياسة (القذرة) التي تمكن لحليف الحاكم والذي يمثل هنا المؤسسة الدينية كيف يقوم باستغلال نفوذه وسلطانه في قمع معارضيه ومعارضي أقاربه ، حتى ولوكانت هذه الخصومات شخصية وسلوك السيد حسين بن حامد هو سلوك السياسي الذي لا يتورع عن استغلال النفوذ والمال ودفع الرشوة وشراء ذمم الرجال ، من أجل الحفاظ على سلطته ومقامه السياسي ونفوذه . إنها الغاية التي تبرر الوسيلة ، وتجيز دفع الرشوة . وشراء الرجال بالمال ، وقرأنا كيف اقتيد هذا السيد باعقيل مصفدا الى (مصنعة عورة) ، ولم يعامل معاملة البطل ، أو الفار من جور الظلم ، أو حتى بالقول المأثور (إرحموا عزيز قوم ذل) بل قوبل بزامل التشفي من قبل السيد حسين بن حامد المحضار بل مدح عسكر يافع الذين أذلوا السيد باعقيل وقادوه مصفدا ، حققوا للسيد المحضار غاياته بالتشفي وإذلالهم لأحد العلويين من الذين كانوا على خلاف شخصي مع المحاضير ، المرجع : (بضائع

التابوت في نتف من تاريخ حضرموت للسيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف) إنتهى كلام المدعو أبو عوض الشبامي ونقله .

قلت : قوله (فطن مؤسس الدولة القعيطية في حضرموت الى أهمية تحالف المؤسسة القبلية العشائرية الحاكمة مع المؤسسة الدينية ، وهذه العلاقة الجيدة بين تلك المؤسستين منذ قيام الدولة القعيطية هي التي اعطت الدولة القعيطية ديمومة الاستمرار ردحا من الزمن ، وقد مثل بعض من العلويين المؤسسة الدينية ، ذلك لقوة نفوذهم الروحي ، وكفاءتهم والأهم من ذلك نسبهم الشريف الذي يضعهم في أعلى قمة السلم الطبقي في حضرموت) أهـ .

يدل على قصور شديد في معرفته بمواقف العلويين تجاه الأسر الحاكمة في حضرموت _ وقتئذ _ من جهة ، ومكانة العلويين عند أولئك السلاطين من أخرى ، فقد زعم بأن من أسباب ديمومة بقاء الدولة القعيطية ردحا من الزمان تحالفها مع العلويين كمؤسسة دينية في حضرموت تتمتع بنفوذ روحي قوي ، وهذا القول ليس صحيحا على إطلاقه ، ومشكلة بعض الباحثين تكمن في ذلك القصور الذي يعانون منه في تصوراتهم وقراءاتهم لبعض الأحداث والمفاصل التاريخية .

وقد يتبادر إلى أذهان هؤلاء ان حتمية وجود التحالفات بين المؤسسة الدينية والسياسية في أي مجتمع من المجتمعات ضرورة لا محيص عنها ، وماذاك إلاّ نتيجة إسقاطاتهم الخاطئة لبعض النماذج قياسا على مايحدث في بعض المجتمعات ، وهذا مفهوم قاصر بلا ريب ، فهؤلاء يجهلون أن لكل مجتمع ظروفه الخاصة وتركيبته ومفاهيمه ونظرته للحياة السياسية وغيرها تختلف بالضرورة

عن المجتمع الآخر ، إذ لايمكن أن تكون كافة المجتمعات على نسق واحد ونظرة متجانسة لكل النواحي السياسية والإجتماعية والسلوكية والإقتصادية وغيرها .

ونظرا لقصور نظر هؤلاء _ بإستبعاد جانب التحامل _ نجدهم ينظرون إلى أن العلاقة بين العلويين كمؤسسة دينية _ كما يحلو لهم تسميتها _ وما تتمتع به من قوة نفوذ روحي في المجتمع الحضرمي وبين المؤسسة العشائرية الحاكمة على أنها شكلا من أشكال التحالفات التي لاغنى عنها لكلا المؤسستين ، ولكن قبل الحديث عن وجود هذا التحالف المزعوم بين المؤسستين علينا أولا انعام النظر مليّا في حقيقة وجود هذه المؤسسات ، وهل لما يطلقه أمثال هولاء من توصيفات جوانب من صحة سوّغت لهم هذه الإطلاقات ؟

الجواب : بقطع النظر عن تكوين مايسمونه بالمؤسسة العشائرية الحاكمة في حضرموت فإن العلويين لايمكن بحال من الأحوال أن يكونوا مؤسسة دينية تحمل مقومات المؤسسة كما يتوهّم أولئك ، ومن يقف على أحوالهم ومؤلفات رموزهم وأعلامهم يجد إختلافا كبيرا بين مواقفهم يبلغ حد التضاد ، بل يظهر بجلاء تام أن ليس للسادة العلويين موقفا موحدا تجاه المؤسسة العشائرية الحاكمة في حضرموت ، وقد سجّلت العديد من مصادر التاريخ الحضرمي وكتب الحضارمة والعلويين أنفسهم نماذجا من إختلافهم في المواقف بل في الولاء والإصطفافات ، وقد ألقينا الضوء على جانب من هذا الأمر في معرض ردّنا على السيد أبي بكر المشهور العدني في كتابنا : (التعليق المبسّط على كتاب النمط الأوسط) ولا أجد مانعا من أن أستدل ببعض مماسقناه في الباب فنقول : لقد إصطفّت بعض البيوت العلوية بحضرموت إصطفافا تاما ضد السلطنة القعيطية وانحازوا إلى خصوم السلطنة القعيطية انحيازا بلغ بهم حد الدعم لهذا الخصم بقصد

جلاء يافع من حضرموت وهذا مما ذكره باحنان قال : (وفي سنة ١٢١٨ هجرية قدم من جاوه والهند جعفر بن علي بن عمر بن جعفر الكثيري وحاول إعادة دولة الكثيري وزحزحة يافع عن البلاد وناصره جماعة من السادة آل عطّاس وآل بار وآل حبشي والسيد أحمد بن عمر بن سميط فإستولى على شبام بعد أن دحر يافعا عنها ، ثم إستولى على وادي عمد وبعض دوعن وحورة والكسر وحاصر يافعا في سيئون سنة كاملة .... الخ[1]) أهـ .

قلت : نلاحظ أن جماعة من السادة آل عطاس وآل بار وآل حبشي والسيد أحمد بن عمر بن سميط قد ناصروا السلطان جعفر الكثيري لزحزحة يافع من حضرموت ولاشك أنهم يعلمون بأن يافع في ولاء تام لآل الشيخ ، وفي هذا دلالة كبرى على دخول السادة العلويين في الصراعات السياسية بين السلطنات والكيانات السياسية القائمة أنذاك كما تؤكّد الرواية على التباين في مواقف السادة أنفسهم ، فلكل طرف من أطراف الصراع السياسي مؤيد من البيوت العلوية ، وقال العلاّمة باحنان : (وقد تقدّم ذكر ما كان بين آل الشيخ أبي بكر بن سالم وبين يافع من الموالاة فكانت تلك الموالاة بين السادة آل عيدروس وبين الكثيري[2]) أهـ

(١) جواهر تاريخ الأحقاف : الصفحة ٥١٣ .

(٢) جواهر تاريخ الأحقاف : الصفحة ٥١١ .

ونتيجة لهذه الولاءات وإختلافها إنتقل الاختلاف والصراع المسلح بين العلويين أنفسهم ويكفينا إستدلالا بواقعة حرق تابوت الإمام الحداد رضي الله عنه وماصاحبه من صراع مسلح بين السادة آل الشيخ أبي بكر وآل عيدروس قال إبن حميد الكندي : (وفي سنة ١١٦١ هجرية كانت وقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح سيدنا غوث البلاد والعباد الحبيب عبدالله بن علوي الحداد كمثل التابوت الذي على ضريح سيدنا الغوث القطب الحبيب عمر المحضار فإختلفت عند ذلك آراء السادة فبعضهم إرتضى ذلك مثل سيدنا الحبيب الشيخ أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم ومن جرى مجراه ومنهم من لم يرتضيه مثل السادة آل عيدروس وكذلك إختلفت آراء القبائل على ذلك حتى وقعت الحرب على وضعه فوقعت رصاصة في السيد صالح بن الحبيب علي بن أحمد ونفذوا به إلى عينات وبقي التابوت هناك في بيت بأمر من بعض يافع أشهرهم أحمد غرامة البعيسي وتحتّم السيد الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة يافع فوضع بحضورهم[1])أهـ

قلت : وهذا مما يجعل حجة من يريد أن يتكلّف إثبات مثل هذا التحالف المزعوم بين العلويين كمؤسسة دينية _ كما يتقوّلون _ والمؤسسة العشائرية الحاكمة بحضرموت حجة داحضة فمن أهم ما يميّز العمل المؤسساتي هو توحيد المواقف والآراء والقرار ، فكيف ساغ لهذا وأضرابه إطلاق مثل هذه التوصيفات الخاوية في ظل وجود هذه المواقف المتباينة للسادة العلويين ؟

(١) العدّة المفيدة لإبن حميد الكندي : الصفحة ٣٠١_ ٣٠٢ .

أما قوله : (وهذه العلاقة الجيدة بين تلك المؤسستين منذ قيام الدولة القعيطية) أهـ فقول لازمام له ولا خطام فهو يصف هذه العلاقة بالجودة ، ومن ثم نجده يهدم كل مباني قوله بنفسه عند حديثه عن تغيّر حال السلطان وسوء العلاقة بين السيد الوزير حسين بن حامد والسلطان رحمهما الله تعالى ، فأمسى كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، وهذا هو ديدن كل أولئك الذين يبنون أطروحاتهم على التوهّم وضعف الإستقراء فتجدهم لايكادون يقولون قولا إلاّ وينقضونه وهم لايعلمون .

قوله : (وتحت الغاية تبرر الوسيلة كان دور السيد حسين بن حامد المحضار دور رجل السياسة أكثر منه أن يكون دور المصلح الديني أو رجل الدين الاصلاحي . لهذا لجأ السيد حسين بن حامد المحضار الى كل الوسائل والتي منها ما تفتقر الى اخلاقيات وشرف المبادئ الاسلامية ولكنها في السياسة وفي سبيل الحكم تعد (شريفة ومشروعة) ولها ما يبررها ، حيث لايوجد في قاموس السياسة شيء اسمه الأخلاقيات أو الشرف المهني . فالغاية تبرر الوسيلة) أهـ .

قلت : لاشك أن الساسة يختلفون في أمورٍ شتى عن الدعاة والمصلحين الدينيين ، وأن دواوين الساسة ليست كمجالس الوعاظ والتذكير ، فالسياسي يختلف عن الواعظ أو الداعية وهذا مما يدركه البسطاء بداهة ، فالكاتب يعلم يقينا أن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار لم يكن في يوم من الأيام من الدعاة والوعاظ ، ولم يكن هذا دوره أنما دوره المنوط به هو إدارة شئون دولة وتوجيه سياساتها ، إلاّ أن السيد الوزير على خلاف مايقوله هذا خصوصا وصفه له بأنه قد لجأ إلى كل الوسائل التي منها ماتفتقر إلى أخلاقيات وشرف المبادئ الإسلامية ووصفه للسيد الوزير حسين بن حامد المحضار بكل تهوّر بالميكافيليّة (الغاية تبرر الوسيلة) ومن باب الإلزام فإنّا نلزم

هذا الكاتب المتخفي بما ألزم به نفسه خصوصا أنه إستدل على كل ما يطرحه بما نقله عن العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى في كتابه (بضائع التابوت) فلذلك نلزمه ونحتج عليه بقول من يحتج به وإلا فأننا نعلم بأن الانتقائيين الذين يبحثون عما يتوهّمون أنه يعزز أطروحاتهم ويتشبّثون بأوهامهم التي لايجدون لها أثرا بعد أن تسطع عليها شمس الحقيقة لايهمهم سوى التشغيب والإثارة .

وإذا كانت الاستنتاجات التي انقدحت في ذهن هذا المتخفّي قادته إلى وصف السيد الوزير حسين بن حامد المحضار بهذه الأوصاف المشينة ، فإن هذه تبقى إستنتاجات في حد ذاتها وليس بالضرورة أن تكون حقيقة ماثلة كما يحاول أن يثبتها ويبرهن عليها مما استدل به من أقوال العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى . وحتى نلزم هذا سنوقفه على ما يقول العلامة بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى عن السيد الوزير وما وصفه به من تحليته بالإيمان والتقوى .

قال العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله ممتدحا السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى في مكاتبة بينه وبين أحد السلاطين مانصه : (على أن من كان يستعظم القرآن وبين جنبيه مابين جنبي الوالد حسين من الإيمان لايرضى في حالة الإختيار ببيع بلاد الإسلام للأجانب[1]) أهـ

(١) بضائع التابوت : ٣/ ١١٧ مخطوط

قلت : من خلال هذه المكاتبة تتبين لنا نظرة العلامة بن عبيدالله السقاف للسيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمهما الله ، فقد وصف السيد الوزير بعدة أوصاف حسنة منها :

أولا : وصفه بالوالد فجعل الوزير حسين بن حامد المحضار بهذا الوصف في مقام الأبوّة وأنزله في منزلتها ومن يجعل أحدا في مقام الأبوة وينزله منزلها فلن ينظر إليه إلاّ بعين الإجلال والتقدير ، وقد كرر هذا في مواضع عدّة من كتابه بضائع التابوت .

ثانيا : يشهد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى في هذه العبارات بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار كان ممن يعظّمون القرآن الكريم ، ولاشك أن من يعظّم القرآن الكريم لايمكن أن يتصّف بخلق ذميم كما يتوهم هذا التوهّم الفاسد ، وعلينا أن نلحظ بعناية تامة بأن العلامة بن عبيدالله لم يقل بأنه ممن يحفظون القرآن الكريم فحسب خصوصا أن هناك العديد من حفّاظ القرآن الكريم ممن يتصفون بصفات غير محمودة ، بل وصفه بأنه ممن يعظّمون القرآن الكريم ، والمعظّم للقرآن الكريم ليس كالحافظ له فرب حافظ غير معظّم ومما لاشك فيه أن من يعظّم القرآن الكريم لايمكن أن يكون إلاّ من الأتقياء البررة ، فقد قال تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ومن كان تقيّا لله تعالى لايمكن أن يكون ميكافيليا .

ثالثا : يشهد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى كان من أهل مرتبة الإيمان ، إذ قال عنه ما نصه : (وبين جنبيه

مابين جنبي الوالد حسين من الإيمان) أهـ ، ولن يقول العلامة بن عبيدالله السقاف هذا القول جزافا أو مجاملة ولا يمكن أن يلقي القول على عواهنه ويشهد زورا للسيد الوزير بالإيمان إلاّ بعد أن تحقق ومعرفة بحال السيد الوزير .

رابعا : هذه المكاتبة التي بين العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى وبين أحد السلاطين مرقومة بكامل نصّها في كتابه بضائع التابوت ، والأهم من ذلك كلّه أنها مكاتبة سريّة بين السلطان وبين العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله ، وبهذا يتأكّد لكل منصف صحة وصفه للسيد الوزير المحضار ، إذ لو كانت رؤيته للسيد الوزير بهذا السوء الذي يتوهمه هذا المتخفّي لأثبتها في هذه المكاتبة خصوصا أنها مكاتبة سريّة لم يطّلع عليها السيد الوزير .

على أن مابين السيد الوزير حسين بن حامد المحضار والعلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمهما الله تعالى من المكاتبات والمساجلات الشعرية ما يقوم على الصدق وعدم المداهنة والتصنّع وهذا ما قاله العلامة بن عبيدالله نفسه وأثبته في كتابه المذكور ، فقد قال عن العلاقة والمكاتبات بينه وبين السيد الوزير حسين بن حامد المحضار مانصه : (والمكاتبات بيني وبينه على ارتجال بلا تصنّع ولا تملّق ولا مداجاة [1]) أهـ . فهو يصف مكاتباته وعلاقته بالسيد الوزير حسين بن حامد المحضار بأنها لم تقم على التصنّع والتملّق بل على الصراحة والصدق ومن خلال كل ما تقدّم يتبيّن لنا أن إستنتاجات هذا المتخفّي لم تقم على حسن إستقراء العلاقة بين الرجلين بل قامت

---

(١) بضائع التابوت : ٣/ ١٠٩ مخطوط

على مباني الوهم إن لم تقم على مباني الأهواء والأغراض وسندحض فيما سيأتي المزيد من أباطيل هذا المتخفي بالأدلّة مما كتبه قلمه حتى نقيم الحجة عليه ناهضة على صحيح مبانيها .

أمّا قوله : (وربما امتعض كبار اعيان العلويون في حضرموت من سلوك السيد حسين بن حامد المحضار حيث يفضلون ان لايكونوا طرفا في النزاعات العشائرية التي تنشب في سبيل الشهوة للحكم وبسط النفوذ . وكانت هذه المعارضة والنقد الشديد لايلق آذانا صاغية من قبل السيد حسين بن حامد المحضار والذي سعى جاهدا لإرضاء اهواء نفسه واشباعها بحب الظهور والزعامة . حتى ولو قام بقمع معارضيه واستغلال نفوذه في قمع العلويين من ابناء عمومته لاسباب الخلافات الشخصية بينهم وبينه او بينهم وبين احدا من اسرته وأقاربه من المحاضير) أهـ

قلت : هذه دعوى بحاجة إلى بيّنة ، ومالم يقم على البيّنة فهو مردود إبتداءاً ، ومن دلائل تحكّم هذا المتخفّي وتنكّبه عن جادة الحق أن قال : (وربما امتعض كبار اعيان العلويون في حضرموت من سلوك السيد حسين بن حامد المحضار) أهـ . وهو في هذا القول يقيم مباني أقواله على الوهم والفراغ ، فلذلك عجز عجزا تاما أن يستدل بدليل واحد يثبت من خلاله إمتعاض بعض أعيان العلويين من سلوك السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى فمن هم أولئك الأعيان الذين يمتعضون من سلوك السيد الوزير ؟ ولماذا لم يذكر لنا إسما واحدا من أولئك الأعيان ؟ ولماذا لم ينقل لنا نصا صريحا يثبت من خلاله صدق مزاعمه ؟ على أن قوله (وربما) لايدل إلاّ على التحكّم والتشهّي فمنذ متى كانت (ربما) دليلا تقام عليه الأحكام ؟

أمّا قوله : (حيث يفضلون ان لايكونوا طرفا في النزاعات العشائرية التي تنشب في سبيل الشهوة للحكم وبسط النفوذ) أهـ .

قلت : قد قدّمنا القول في ذلك ، وقد نقلنا ما أورده باحنان في جواهر تاريخ الأحقاف وما أثبته ابن حميد الكندي في العدّة المفيدة ، من دخول بعض البيوت العلوية بل إشتراك بعض المناصب في الصراعات العشائرية والاصفافات مع أطراف السلطة وقتئذ لدرجة بلغت حد الاقتتال فكيف يزعم بأن العلويين يفضّلون أن لايكونوا طرفا في النزاعات العشائرية ؟ وكتب تاريخ حضرموت مليئة بالأمثلة على ذلك ، فهذا يدل على أن هذا المتخفّي يستل من مرويات الأحداث ما يتوافق وهواه وهذا تشهّي باطل ، أو أنه يدل على سطحيته واستدلاله بعموميات وإطلاقات لايستدل بها عاقل ، أو يدل على ضعف الإستقراء للأحداث .

أمّا قوله : (حتى ولو قام بقمع معارضيه واستغلال نفوذه في قمع العلويين من ابناء عمومته لاسباب الخلافات الشخصية بينهم وبينه او بينهم وبين احدا من اسرته وأقاربه من المحاضير) أهـ

قلت : هذا قولٌ يقوم على الخواء والفراغ ، خصوصا أن العلامة بن عبيدالله السقاف نفسه وهو ممن يحتج هذا المتخفّي بأقواله يثبت بما لايدع مجالا للشك سقوط هذا القول ، ولكي نقف على حقيقة حلم السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ونبله وحميد أخلاقه خصوصا في مسألة حلمه وسعة صدره لمن يخالفه لدرجة أنه يسمع من مخالفيه تصريحهم بما يدل على الغض من مقامه شخصيا والإختلاف معه في الرؤى بل حتى في الولاء .

قال العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى عن قصيدة له كتبها بمناسبة زيارة الوزير حسين بن حامد المحضار إلى سيئون وألقاها في مجلسه وبحضوره أمام الجمع الغفير من الحضور مانصه : (وكان رحمه الله يستعيدها في كل مجلس طيلة إقامته في سيئون على مافيها من الغض منه[1]) أهـ

قلت : هاهو العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله يلقي هذه القصيدة أمام السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ، ويؤكّد بأن السيد الوزير كان يستعيد كلمات هذه القصيدة في مجالسه طيلة إقامته في سيئون على مافي هذه القصيدة من الغض في السيد الوزير ، ولو كان السيد الوزير حسين بن حامد المحضار كما يصفه هذا المتخفّي يقمع معارضيه ويستغل نفوذه في قمع العلويين لكان أول ضحاياه العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف نفسه فقد كان يخالفه في كثير من الأمور ويعارضه فيها فلماذا لم يفتك به السيد الوزير ولم يستغل نفوذه في قمعه كما يتوهّم هذا المتخفّي ؟

والحمد لله رب العالمين أن أسخن عين هذا المتخفّي بقول ابن عبيدالله نفسه بأن السيد الوزير كان يستعيد كلمات هذه القصيدة في مجالسه طيلة مكثه بسيئون على مافي أبياتها من الغض في السيد الوزير ، ومن المعلوم بأن الطغاة والمستبدين ، يستشيطون غضبا من كل قول يحمل انتقاصا

---

(١) بضائع التابوت : ٣/ ١١٣ مخطوط

منهم ولو ضمناً ، وما استعادته لأبيات هذه القصيدة على مافيها من الغض في مقامه إلاّ من دلالات نبله وسعة حلمه وكريم خلقه ، ثم أن هناك أمرا آخرا وهو استدلال هذا المتخفّي نفسه بما دلّ على أن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار من أبعد الناس عن قمع المخالفين له بل يدل على طيب عنصره ونبله وسعة حلمه ، فقد نقل هذا المتخفّي أقوال بعض الشعراء الذين يعارضون السيد الوزير ويخالفونه بل بلغ بهم الأمر إلى مبلغ التحدّي والإتهام ، فقد استشهد بقول الشاعر بن ماضي للسيد الوزير حسين بن حامد المحضار في مساجلة بينهما فقال ما نصه :

فأجابه الشاعر أحمد بن عبيد بن مسلم بن ماضي بقوله :

لولا قروشك لي معك قدّمتها ** جيشك رجع مكسور ياسيد حسين
وإلاّ الوعـول المربعيّة شفتها ** عيـال يافـع في المقـابر من ثنين

قلت : هاهو الشاعر بن ماضي يصف السيد الوزير حسين بن حامد المحضار بأنه قد دفع القروش لبعض المرتزقة ، ورماه بهذه التهمة التي لم يقم دليلا عليها وسيعجز حتى هذا المتخفّي من إقامة الدليل ، فلماذا لم يستشط السيد الوزير رحمه الله تعالى غيظا ولم يستبد به غضبه من قول هذا الشاعر البسيط ؟ إنها أخلاق الرجال الكمّل التي توارثوها من مشكاة النبوة ومعدن الرسالة وقد قدّمنا بأن هذا المتخفّي وأضرابه يبنون أقوالهم على السراب والوهم ، ومن دلائل تهافتهم وضحالة أطروحاتهم أنهم يقدّمون ماينقض حجّتهم ويدحضها مما تكتبه أيديهم من حيث

لايعلمون ، ولو أنهم نظروا إلى الأمور من مناظير الحق والنزاهة لا من ثقوب الهوى والتشفّي لما وجدناهم يتهافتون في أتون الجحيم الذي سعّروه وأشعلوه بترّهاتهم .

أما قوله : (وهذا ما كتب عنه العلامة السيد عبدالرحمن بن عبيدالله حين قال : وفي أيام السلطان غالب تأصلت ضغائن ما بين ابوبكر بن حسين المحضار والسيد محمد بن عمر باعقيل انتهت بالثاني الى أن استجار بالدّين فاعطوه وجوههم وهم وآل بامسدوس والمشاجرة وآل هميم ،ولما جد الجد قال له الأخيران إنا لانجيرك من الدولة ولكن من سواهم واما آل بامسدوس ورئيسهم سعيد بن سالم باغشمي فثبت معه ، فلم يكن من السيد حسين بن حامد إلا أن زحف بعسكر يتألف منه اثنين وأربعمائة يرأسهم السيد عبدالرحمن بن حامد ومحمد بن عمر باصره وتقدمت تلك العساكر الى مكان يقال له الأبيضين ، والى آخر يقال له وليجات ، ودام الحرب نحوا من ثلاثين يوما ، حملت فيه العساكر مرتين ثم تراجعت بعد ان قتل منها نحو من عشرين نفرا بدون أن يقتل احد من الدّين .... الخ) أهـ .

قلت : استدل هذا بقول العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف بأن ضغائن تأصّلت بين أبوبكر بن حسين المحضار والسيد عمر بن محمد باعقيل ، إلاّ أن ذكر العلاّمة بين عبيدالله لإسم أحد المحاضير جعل هذا المتخفّي يتوهّم بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار قام في نصرة أحد أقاربه من أسرته وهو ذكر العلامة بن عبيدالله السقاف لأبي بكر بن حسين المحضار ، فطار هذا المتخفي فرحا وظن أن السيد الوزير حسين بن حامد ناصر أحد أقاربه ضد أحد السادة الآخرين ، فجعل المسألة برمّتها أمرا شخصيا وهذا من فساد أوهامه وظنونه .

ومن أدلّة قصور معرفته بهذه الحادثة تحديدا أنه لم يجزم في تحديد نوع هذه القرابة بين السيد أبوبكر بن حسين المحضار وبين السيد الوزير حسين بن حامد المحضار ، واكتفى بذكر القرابة فحسب لتشابه الأسماء ، وعلى افتراض معرفته بخصوصية القرابة بينهما فإنه جعل من ورود إسم أبي بكر بن حسين المحضار في تفاصيل هذه الحادثة محورا يربط به دعواه على مناصرة السيد الوزير لقرابته ، فلذلك أعطى لهذه الحادثة بعدا شخصيا .

والحق أن أبابكر بن حسين المحضار هو الإبن الثاني للسيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمهما الله تعالى فالأول من أبنائه يسمّى طالبا وقد توفّي غريقا في شبابه ، ولذلك نجد السيد الشاعر الوزير يستهل الكثير من قصائده بقوله : (قال بوطالب) ، وبما أن هذا لايعلم شيئا عن تفاصيل حادثة السيد باعقيل ولم تسعفه معرفته أوقراءته للوقوف على تفاصيل هذه الحادثة توهّم توهّما فاسدا فجعل منها أمرا شخصيا وانحيازا للقرابة ، ولو علم ماهو مقصود العلامة بن عبيدالله السقاف من إيراد إسم أبي بكر بن حسين المحضار رحمه الله تعالى لما انطبعت هذه الحادثة في مخيلته انطباعا شخصيا .

ومن المعلوم عند من يلم الماما بسيطا بتاريخ أسرة المحاضير الكرام ، يدرك ان السيد أبابكر بن حسين المحضار قد أدرك والده السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمهما الله تعالى بل يكلّفه ويسند إليه بعض المهام من أمور الوزارة للقيام بها ، ذلك شأن الكثير من المستوزرين قديما وحديثا ، بل أن السيد ابابكر بن حسين المحضار _ إبن الوزير المذكور ووالد الشاعر الغنائي الكبير حسين بن أبي بكر المحضار رحمهما الله تعالى _ قد تولّى الوزارة بعد وفاة والده السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ، وهذا يدركه من كان له أدنى معرفة بتاريخ المحاضير عموما وتاريخ السيد الوزير حسين بن حامد المحضار على وجه خاص .

ومن أدلّة ذلك قول السيد الحبيب مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار رحمه الله تعالى في مكاتبة بينه وبين أهل لِبه قال مانصه : (وكُنّا في ضيق من قل الماء والحلال لانستطيع نشرب كيف نبني ؟ لبعد الماء عنّا حتى قرّبه الولد حسين على يد ولده الراعي لعهده أبوبكر بن حسين إلى تحت البلاد ..... الخ) أهـ

هذا ماكان من أثبات تكليف السيد الوزير حسين بن حامد المحضار إبنه السيد أبوبكر بن حسين المحضار القيام ببعض المهام وإسناد تنفيذها والإشراف عليها إليه ، أمّا فيما يخص التدليل على تولّي السيد أبوبكر بن حسين الوزارة خلفا لأبيه حسين بن حامد المحضار رحمهما الله تعالى فقد ذكر السيد الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار في نفس هذه المكاتبة ما نصه : (وخلّفَه ولده أبوبكر في منصبه وقام بواجبه) أهـ . وبما أننا قد قدّمنا القول بأن هذا يتقحّم مثل هذا الأمور التي لاناقة ولا جمل له فيها ، فمن الضرورة بمكان أن نجده يخبط فيها خبط عشواء وماذاك إلاّ لقصور معرفته وعدم احاطته بكثير من الأمور التي تصدّى لها دون أهليّة وكفاءة وإقتدار ، ولو علم بأن السيد أبابكر بن حسين المحضار كان يقوم مكلّفا من قبل والده الوزير حسين بن حامد ببعض المهام لما وصف هذه الحادثة وصبغها بالصبغة الشخصية التي لم يصبغها بها ناقلها العلاّمة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ، وماذاك إلاّ لعلم ابن عبيدالله بتكليف السيد الوزير ابنه للقيام ببعض المهام ، وهذا هو الفرق بين قصور فهمه لهذه المسألة وإحاطة العلامة بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى بها .

ومن أبرز دلائل تقحّمه لأمور لا صلة له بها من قريب ولا من بعيد أن أورد قولا تفرّد فيه ولم يسبقه إليه أحد من أهل علم الأنساب ، دلّ هذا التفرّد على تهافت أطروحاته وتهوّره وميله للإغراب ، وذلك عندما ذكر في بعض مؤلفاته التي خصصها للبحث في حياة وتصوّف وشعر أحد أعلام التصوّف الحضرمي في القرن العاشر الهجري ، بأن شيخ من ترجم له وهو الشيخ عبدالرحمن باهرمز الملقب (الأخضر) فذكر بأن سبب تسمية عائلتة (باهرمز) بأنهم ليسوا حضارمة الأصل وانما هم من سكان (مضيق هرمز) دون أن يقدّم دليلا واحدا على ذلك ومما لاشك فيه بأن من كان هذا حاله وهذا مقاله ، لاريب أن يتجاسر على مثل هذه الأمور ويتسوّر عليها تسوّر الدخلاء .

على أن حادثة السيد محمد بن عمر باعقيل رحمه الله تعالى لم تكن كما يصفها الكثير من كبارهم وكبار المحاضير نزاعا شخصيا بين المحاضير وآل باعقيل الكرام ، فالمسألة كما يصفها أهلها بدأت بأمر صغير وهو قيام رجل من أهل الجهة بأخذ بعض التمور للسيد باعقيل ، إلاّ أن السيد محمد بن عمر باعقيل رحمه الله تعالى رأى أن يستعين ببعض القبائل ولم يلجأ إلى الدولة ، فأستغل بعض القبائل ممن إستعان بهم هذه الحادثة وهزّوا حبل الأمان وضربوا سياج الإطمئنان في المجتمع واعتدوا على بعض عسكر الدولة فما كان من السيد الوزير حسين بن حامد المحضار إلاّ أن كلّف ولده في هذا الشأن وأخذت القضية حظّها من التصعيد بإجارة بعض القبائل للسيد باعقيل .

ومما يدل على قصور معرفته لتفاصيل هذه الحادثة أن ما نقله وكتبه بيده ينطق بلا مرية ولاشك بأن المسألة لم تكن شخصية وانما مواجهة بعض القبائل مع جيش الدولة فقد نقل العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى قول بعض القبائل ممن تخلّوا عن إجارة السيد باعقيل رحمه الله تعالى بعد أن أجاروه حيث نقل العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله قولهم فقال مانصّه : (ولما جد الجد ، قال له الأخيران : إنا لانجيرك من الدولة ولكن من سواهم) أهـ .

قلت : هذه ألسن القبائل الذين تخلّوا عن إجارة السيد باعقيل رحمه الله تعالى ، تنطق صراحة بأنهم لن يجيروا السيد من الدولة ولكنهم سيجيرونه من سواهم ، ومعنى ذلك أنهم يرون أن الصراع مع الدولة لا مع سواها ، ولو كان الصراع صراعا شخصيا بين المحاضير وبين آل باعقيل لما تخلّوا هؤلاء القبائل عن إجارتهم ولو أن هذا ممن يملكون الأهلية والنزاهة في بحث وتحليل الوقائع التاريخية لأدرك هذا مما نقله بيده ، إلاّ أن مثل هذا لا يغيب إلاّ عمّن إرتهن لهواه فأغواه ، فنزل في عش غير عشّه واستوى على عرشٍ غير عرشه .

أمّا قول العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى فمما طار به فرحا ونقله كشاهد على شراء السيد الوزير رحمه الله تعالى ذمم الرجال وهو ما نصّه : (ولكن حامية قارة صغيرة هناك أرتشت من جانب السيد حسين بن حامد بخمسمائة ريال فظهروا على (الأبيضين) وضربوا المدافع إليه وطلبت الدّين من السيد باعقيل مساعدة ليواصلوا القتال فلم يعطهم قليلا ولا كثيرا ، وبإثر ذلك توسط السيد عمر بن طاهر الحداد والشيخ محمد بن بوبكر باسودان ، ولينوا للدّين تسليم باعقيل ومحالفة الدولة القعيطية ، ففعلوا ورهنوا لها أولادهم ، إزاء دراهم كثيرة تسلمها رؤساءهم) أهـ .

قلت : عند إخضاعنا هذا القول للبحث المتجرّد عن الأهواء والأغراض يظهر لنا بالأدلّة الحاسمة مايلي : ذكر العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله تعالى أن حامية قارة صغيرة ارتشت من جانب السيد حسين بن حامد بخمسمائة ريال ، وهذه دعوى أقامها العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله تعالى بحاجة إلى بيّنة تنهض عليها هذه الدعوى فإن عُدِم المنهوض عليه سقط الناهض ، إذ لم ينقل اعترافا لأحد من أولئك الذين قبضوا الرشوة حتى يسلّم القارئ لمدّعى

العلامة بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى ، ومما يظهر لنا أن العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله أقام دعواه هذه على قول الشاعر بن ماضي للسيد الوزير حسين بن حامد :

لولا قروشك لي معك قدّمتها ** جيشك رجع مكسور ياسيد حسين

قلت : هذه الأقوال لايصح بحالٍ من الأحوال أن يقوم عليها حكم ، إلاّ فيما يبدو أن العلامة بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى قد أخذ منها قرينة على أن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى قد دفع لرجال هذه الحامية فتمكن عسكره منها ، وبما أن هذا قول شاعر فمن المعلوم بالضرورة ان أقوال الشعراء ليست من مباني الأحكام الشرعية .

وعلى إفتراض صحة ماقيل والتسليم به ، فإن هذه الأقوال تحمل اتهاما لرجال أولئك القبيلة وطعنا فيهم حيث أنهم استغلوا هذا الموقف لإبتزاز السيد باعقيل واستنزاف مافي جيبه من أموال وهذه أساليب لا تمت للرجولة وشرع القبولة بصلة ، ومن أدلّة استغلالهم لهذا الموقف العبارة التالية : (وطلبت الدّين من السيد باعقيل مساعدة ليواصلوا القتال فلم يعطهم قليلا ولا كثيرا) أهـ ، فما نستشفّه من هذه العبارة ورفض السيد باعقيل لدفع المزيد من المال لقبائل الدّين كما تنص الرواية ، أنهم أرادوا ابتزاز السيد باعقيل ففطن لذلك ورفض أن يدفع لهم شيئا والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو : لماذا حاول هذا أن يستغل هذه الأقوال والدعوى التي لم تقم على بيّنة ضد السيد الوزير ولم يشر إلى موقف القبائل ولم يعلّق عليها ؟

وعلى صحة افتراض دفع السيد الوزير للحامية الخمسمائة ريال ورشوته لهم فإن أولئك القبائل _ كما تنص الرواية _ ساوموا السيد باعقيل في الحصول على المزيد من ماله خصوصا أنهم يعلمون أنه من أبناء الأثرياء وكان أخوانه من المهاجرين الأثرياء ، وسيتبيّن ذلك مما يأتي ، إلاّ أن السيد باعقيل علم أن هؤلاء أرادوا إستغلال هذا الموقف للحصول على المزيد من أمواله فرفض وكانت النتيجة أن باعوه وخذلوه .

فهذا المتخفّي التقط هذه الدعوى ليستغلها خنجرا مسموما يغرزه في صدر السيد الوزير ولم ينظر إلى صنيع أولئك المتاجرون بالقضية ، وهانحن ننزع خنجر الباطل ونغرز خنجر الحق في صدور أصحاب الأهواء ، ومن سل سيف البغي صرع به هذا على افتراض صحة هذه الدعوى وإلاّ فالأحكام لاتبنى إلاّ على البيّنات لا على الإستنتاجات ، والمسألة برمّتها مردودة إبتداءاً والمردود لاحجة فيه .

واسترسل في نفس الموضوع وكتب في المشاركة رقم (٣) ما نصّه :

(يقول السيد عبدالرحمن بن عبيدالله : في عام ١٣٤٦هـ وردت المكلا فأرسل إلي باعقيل من السجن فدخلت عليه وطلب مني التوسطة في اطلاقه فأبوا أن يطلقوه إلا بغرامة الحرب المقدرة بمائتي ألف روبية) أهـ . وظل بن عبيدالله يبدل المساعي في اطلاق باعقيل ، واصر السيد حسين بن حامد ان يبقى باعقيل في السجن او يدفع الغرمة مئتا الف روبية ولكن السلطان صالح خفضها الى خمسين الف ، وقال بن عبيدالله : (ابحرت الى جاوه وشفعت الى اخوانه أن يقدموها عنه) أهـ . وقد تفرس بعض الشعراء بأن باعقيل سيطلق صراحه حين قال :

البنك بايطلق محمد بن عمر ** أبوه تاجر مالقا قبّه وجاه
أبوه خلّف له صرر بأرض الكفَر ** ما ألقاه في مسجد ينادي بالصلاة

ولكن بعد حادثة اذلال السيد با عقيل وسجنه وطلب فدية كبيرة منه تأديبا له ما ذا كان مصير العلاقة بين السيد حسين بن حامد المحضار والسلطنة القعيطية ؟ سؤال له اجابة في تواصل آخر معكم) انتهى نقله .

قلت : قبل أن نطرح ماكتبه هذا المتخفّي للمناقشة والتحليل والبحث نود أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى مسألة هامة وهي : كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية التي يرتكبها هذا وتكرارها في أكثر من موضع ولن نطيل الوقوف عند هذه المسألة وسنكتفي للتدليل على ذلك بأمرين وهما :

كتب في مشاركته رقم (١) هذه العبارة نصا : (وربما امتعض كبار اعيان العلويون في حضرموت من سلوك السيد حسين بن حامد المحضار) أهـ

وكتب في المشاركة التي تحمل الرقم (٣) نصّا : (واصر السيد حسين بن حامد ان يبقى باعقيل في السجن او يدفع الغرمة مئتا الف روبية) أهـ .

ويكفي كل من له أدنى معرفة باللغة أن ينظر إلى ماكتبه مما رمّزنا عليه (أعيان العلويون _ مئتا ألف روبية) وفي مثل هذا الموقف نقول : لو أن العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى يعلم أن هذا سيكتب عنه ويتصدّى لبعض ماكتبه لأوصى إلى السلطات_ وقتئذ_

بأن تطلق سراح السيد باعقيل دون غرم ، وكتب في وصيته أن يُحبس هذا المتخفّي ولفَرَض عليه غرامة تساوي عشرات أضعاف ما فُرض على السيد باعقيل ولا نقول في موقف كهذا إلاّ ماقاله الشاعر علي بن الجهم :

إذا رُزِقَ الفَتى وَجهاً وَقاحاً ** تقَلَّبَ في الأُمورِ كَما يَشاءُ
وَلَم يَـكُ لِلـدَواءِ وَلا لِشَيءٍ ** يُعـالِجُـهُ بِهِ عَنـهُ غَنـاءُ
وَرُبَّ قَبيحَةٍ ما حـالَ بَيني ** وَبَينَ رُكـوبِها إِلّا الحَيـاءُ
وَكانَ هُوَ الَّذي أَلهى وَلكِن ** إذا ذَهَبَ الحَيـاءُ فَلا دَواءُ

ولمناقشة أقوال هذا المتخفّي ونقولاته عن السيد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى نقول : قد يقول قائل أننا نتحامل عليه ونصفه بما ليس فيه وأننا ننكر أهليّته في التصدّي لمثل هذه الأمور ، ولكن عندما يقف كل منصف حاذق على نقولاته وما يكتبه وما يخلص إليه من إستنتاجات أقامها على الوهم والتحامل معا يعذرنا ويقر بأن ما نقول فيه كان صحيحا وحتى نبرهن لكل قارئ عدم أهليته في التصدّي لمثل هذه الأحداث والوقائع التاريخية نضع أمام الجميع إحدى طوامه التي وقع فيها دون أن يعلم بما كتبه بيده ونقله .

أولا : علينا أن نلاحظ بعناية تامّة ما نقله من قول العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى فقال : (يقول السيد عبدالرحمن بن عبيدالله : في عام ١٣٤٦هـ وردت المكلا فأرسل إلي باعقيل من السجن فدخلت عليه وطلب مني التوسطة في اطلاقه فأبوا أن يطلقوه إلا بغرامة الحرب المقدرة بمائتي ألف روبية) أهـ .

قلت : لاحظوا أنه كتب التالي : (يقول السيد عبدالرحمن بن عبيدالله) أهـ . ثم نقل وكتب بيده كلام العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى وهو مانصّه : (في عام ١٣٤٦ هـ وردتُ المكلا فأرسل إليّ باعقيل من السجن ... الخ) أهـ .

نلاحظ أنه نقل قول العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى عن وروده المكلا عام ١٣٤٦ هجرية ، وأن السيد باعقيل أرسل إلى بن عبيدالله من السجن وطلب أن يتوسّط في إطلاقه . وقد كتب هذا المتخفّي سنة ورود العلامة بن عبيدالله السقاف المكلا كالتالي (١٣٤٦هـ) .

والآن دعونا ننظر إلى ماكتبه هذا المتخفّي وهو : (وظل بن عبيدالله يبدل المساعي في اطلاق باعقيل ، واصر السيد حسين بن حامد ان يبقى باعقيل في السجن او يدفع الغرمة مئتا الف روبية .... الخ) أهـ .

قلت : هذا المتخفّي يزعم بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار قد أصر على بقاء السيد باعقيل في السجن أو دفع الغرامة رغم وساطة العلامة بن عبيدالله وبذل المساعي في ذلك والآن نوجّه السؤال التالي فنقول : متى ورد العلامة بن عبيدالله السقاف إلى المكلا حسب ما نقله عنه وما كتبته بيده ؟ حتما سيكون الجواب : بأن ابن عبيدالله ورد الى المكلا سنة ١٣٤٦ هجرية كما كتبه هذا بيده ، عندئذ نقول مايلي :

إذا كان العلامة بن عبيدالله ورد إلى المكلا عام ١٣٤٦ هجرية ، فمتى توفي السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ؟ حتما سيكون الجواب : بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار توفي في ١٣ الحجة سنة ١٣٤٥ هجرية ، عندئذ نقول :

كيف أصر السيد حسين بن حامد المحضار على بقاء باعقيل في السجن سنة ١٣٤٦ هجرية وهو قد توفي سنة ١٣٤٥ هجرية ؟

ولا سبيل للخلاص من هذا المأزق إلاّ أن يزعم بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار قد عادت روحه الى جسده وقام من قبره وأصر على بقاء السيد باعقيل في السجن ، أو أن يقول بأن العلامة بن عبيدالله السقاف قد أخطأ في كتابة التاريخ وعندئذ نقول :

هنا يظهر للقارئ الكريم صحة قولنا بأن هذا لا أهليّة له في التصدّي لمثل هذه الأمور والأحداث التاريخية ، ولو كان ممن يحللون النصوص التاريخية ويناقشها مناقشة الباحث الحاذق لكان قد أدرك هذا الإشكال ، ولكنه مع الأسف كتبه بيده وقرأه عدّة مرات وعقّب على مداخلات الكثير من الأعضاء ولم يستوقفه مثل هذا الأمر الدقيق ، وهذا من الأدلّة القاطعة التي تثبت بأنه يقحم نفسه في أمور ليس من أهلها ، ولذلك قلنا في (المقدّمة) بأن هذا الموقع الألكتروني الأدبي الثقافي هيمن عليه من لاعلاقة لهم بالأدب والثقافة ، ومن يزور سجل مشاهدات هذا الموضوع يجد أنها تربو على الثلاثة آلاف مشاهدة ومشاركة ومنهم من كتب مداخلته في الموضوع ولم يلحظ أحدهم هذا الإشكال ،ولو كانوا حقّا ممن يهتمون بمثل هذه الأطروحات التاريخية لأدركوا مثل هذه الإشكالات ولا نقول فيمن هذا حالهم إلاّ قول الشاعر أبي الحسن التهامي :

ومكلّفُ الأيام ضد طباعها ** متطلّبٌ في الماءِ جذوة نارِ
وإذا رجوتَ المستحيل فانما ** تبني الرجاء على شفيرِ هارِ

ومن المعيب أن يكتب في المشاركة رقم (٢٣) من الموضوع تاريخ : ١١/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية مانصه :

(بعد تلك الاضاءات على جوانب من شخصية السيد الوزير حسين بن حامد المحضار ودوره في خدمة السلطنة القعيطية والاهداف الاستراتيجية البريطانية في حضرموت ومن خلال سياق الموضوع استشهدنا بروايات من كاتب عاصر الأحداث وعاصر السيد الوزير وكانت له مراسلات ومساجلات معه ، وشخصية بحجم العلامة والمؤرخ السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف لا يمكن ان تكتب عن هباء أو كما يفعل المتنطعين على الكتابة من المتسرعين والمأولين والخطاؤون في دقة كتابة التاريخ ، فالسيد بن عبيدالله اعرف منا بالرجل) أهـ

قلت : نلاحظ كيف يقيم الدعاوى الجوفاء وينتقد من يخطئون في دقة كتابة التاريخ ثم نجده يقع فيما نقد فيه غيره وهذا من الصفاقة بمكان مع أنه قد كرر انتقاداته مرارا وتكرارا في مواضع عدّة من موضوعه وقد وجه سهام نقده اللاذع إلى صاحب كتاب : (حضرموت الإنسان والكلمة) فقال في المشاركة رقم (٢١) من الموضوع مانصه :

(تعالوا لنقرأ هذه الخربطة واللخبطة والتزييف في التاريخ عن قصور اطلاع ودراية يقول صاحب كتيب (حضرموت الانسان والكلمة) في صفحة ٥٤ من كتيبه الذي اصبح مرجعا له مع كتيب آخر اسمه (بلاد الاحقاف عند كوز مركوز) يقول بالحرف الواحد : (موضوع القصيدة رفض المعاهدة البريطانية التي وقعت مع السلطنة عام ١٨٨٨م ووصول انجرامز الى

حضرموت في العقد الثالث من القرن العشرين) ويقول : (لما بلغت قصيدة صلاح احمد القعيطي حضرموت وتناقلها الناس رأى السيد المحضار أن الرد لابد وأن يأتي من عنده بإعتباره المسئول والوزير المفوض خاصة وان الموضوع رسمي ويمس سياسة الدولة ثم انه شاعر فحل) ، انظروا لهذا الخلط والخبط الوزير توفى سنة1927 م يرد على شاعر قال قصيدة عام 1938 م اتفاقية المعاهدة عام 1888 م يعارضها الأحمدي بعد خمسين عاما ، أمر مضحك ومخزي حين نتنطع على كتابة التاريخ) انتهى نقل المتخفّي

قلت : ما أنكره على غيره وقع فيه ، فقد زعم بأن العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله ورد الى المكلا سنة ١٣٤٦ هجرية وتشفّع في إخراج السيد باعقيل من السجن ولكن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار أصر على بقاء باعقيل في السجن والسيد الوزير قد توفّى في سنة ١٣٤٥ هجرية أليس هذا من المخزي أن ينكر على الغير أمراً ارتكبه بنفسه وسقط فيه إلى الأذقان ؟

أمّا قوله في نفس المشاركة ما نصه : (وقال بن عبيدالله : ابحرت الى جاوه وشفعت الى اخوانه أن يقدموها عنه) أهـ .

قلت : هذا قول يستحق الوقوف لبسطه وتفصيله ، فالعلامة بن عبيدالله يذكر أنه قد أبحر إلى جاوه وشفع إليهم أن يدفعوا هذه الغرامة عن أخيهم ، وعلينا أن نقف بعناية وتركيز عند قوله : (وشفعتُ) أهـ ، وهذا يدل على ان اخوة السيد باعقيل في جاوه كانوا قد امتنعوا عن دفع هذه الغرامة عن أخيهم ، ولو لم يكن هناك ممانعة منهم في دفع الغرامة عن أخيهم لما قال العلامة بن

عبيدالله : (شفعتُ إلى أخوانه) فالمتشفّع لا يتشفّع إلاّ عند المتمنّع لا عند من لا تمنّع له ، وبهذا التحليل أقمنا الدليل على عدم رضاهم عن صنيع أخيهم فامتنعوا عن دفع الغرامة التي وقعت عليه ولو كانوا في عوَز وضيق لكان ذلك مدّعاهم .

ثم ان العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله تعالى عُرف بصراحته وجرأته في القول وقد قال أقوالا صريحة وأكثر جرأة فيها تنقيص وإزراء ببعض السادة من علماء وأعلام سيئون من أهل الجاه والنفوذ ، ولو علم بأن السيد باعقيل كانت قد وقعت عليه مظلمة لما سكت عن هذا الظلم ، ولن يقر بتغريم السيد باعقيل دون وجه حق ، وما سعيه في هذا الأمر وتقديم الشفاعة في المكلا بإخراج السيد باعقيل من السجن وتقديم الشفاعة في جاوه لدفع الغرامة عن السيد محمد بن عمر باعقيل إلاّ دليل على إقراره بأن السيد باعقيل لم يكن مظلوما في سجنه .

وهذه الأمور كلها لاتثبت إلاّ تحامل هذا المتخفّي على السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ، أو ضعف إستقراء الحدث وعدم تحليل ومناقشة هذه النصوص بعمق وإحترافية الباحثين ، وفي كلا الحالتين فإن هذا يثبت بما لايدع مجالا للشك بأنه من المتطفّلين على قراءة التاريخ ومن العابثين به وممن لا إنصاف لهم . ومن يقرأ موقف السيد الوزير حسين بن حامد تجاه السيد محمد بن عمر باعقيل رحمهما الله تعالى ، نجده لايهتم بوشائج القرابة ورابط النسب والدم مع السيد باعقيل رحمه الله تعالى ، فلم يحابيه أو يجامله على حساب الحق وهذا دأب من لايخاف في الله لومة لائم ، ورغم ذلك نجد أن هذا المتحامل يعدّها مثلبة على السيد الوزير مع أنها منقبة .

وبعد كتابته مسألة شفاعة السيد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله في إطلاق سراح السيد محمد باعقيل من السجن ، إذ كتبها تاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية . عاد تاريخ ٩/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية ليكتب في نفس الموضوع في المشاركة رقم (٦) مانصه :

(الحديث عن وزير السلطنة القعيطية حسين بن حامد المحضار رحلة عبر تاريخ رجل وعلاقته بقيام دولة في حضرموت، رجل عمل بهمة عالية في مؤازرة السلطنة وتثبيت دعائمها ولكن ليس من بعد وطني أو حرصا منه على إنشاء بنية دولة حديثة قوية ... الخ) أهـ

قلت : هنا يقر بأن الحديث عن وزير السلطنة القعيطية السيد حسين بن حامد المحضار يعتبر رحلة عبر تاريخ رجل وعلاقته بقيام دولة في حضرموت ، فهو يقر هنا عن علاقة السيد الوزير بقيام دولة بحضرموت وهذا القول يحمل مغالطة كبرى ، فقد قامت دولة السلطنة القعيطية قبل أن يستوزر السيد حسين بن حامد المحضار بمدة ، إلاّ أنه عاد ليقول مانصه : (رجل عمل بهمة عالية في مؤازرة السلطنة وتثبيت دعائمها ... الخ) أهـ ،

هاهو يقر هنا بأن الوزير حسين بن حامد المحضار عمل بهمة عالية لتثبيت دعائم هذه السلطنة ، ولاشك أن من ينهض بمثل هذه المهام لابد أن يتمتع بقدرات وكفاءة عالية وبالكياسة ودهاء الساسة ، وهذا من المعلوم بالضرورة ، فالبسطاء في قدراتهم لايمكنهم الإسهام في تأسيس الممالك والسلطنات والدول وتثبيت دعائمها ، وبعد كل هذا الاعتراف والإقرار بمجهود السيد الوزير في تثبيت دعائم السلطنة نجده _كعادته_ يرتد عن قوله ناكصا متنكّبا عن جادة الحق ، فقد كتب في تاريخ : ١٠/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية في المشاركة رقم (١٦) ما نصه :

(كما قد ذكرت لكم سابقا أن السيد حسين بن حامد المحضار يفتقد الى السياسة والمرونة والكياسة والدهاء) أهـ .

قلت : من أبشع مخازيه وتناقضاته الدالة على سقوطه ، ماكتبه في المشاركة رقم (١) من الموضوع عندما قال مانصّه : (كان دور السيد حسين بن حامد المحضار دور رجل السياسة أكثر منه أن يكون دور المصلح الديني أو رجل الدين الاصلاحي) أهـ

قلت : أنظروا كيف يقرر في مشاركته رقم (١) بأن دور السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى كان دور رجل السياسة ولم يكن دور المصلح الديني ، ثم نجده ينقض قوله ويهدم مبناه في مشاركته رقم (١٦) فيقول : (كما قد ذكرت لكم سابقا أن السيد حسين بن حامد المحضار يفتقد الى السياسة والمرونة والكياسة والدهاء) أهـ . فماذا نسمّي هذا ؟

والآن دعونا نتجشّم الإبحار في لجج جهالاته محتسبين ذلك عند الله تعالى ونكمل مناقشة ما كتبه في مشاركته رقم (٦) حيث كتب مانصه :

(ذلك أن دراسة وتحليل الجانب الآخر من حياة وسيرة السيد حسين بن حامد المحضار والوقوف على غموض هذه الشخصية يحتاج منا الرجوع الى من كتبوا عنه وعرفوه عن كثب من الذين عاصروه ، لنقف على حقيقة شخصية هذا الرجل بعيدا عن العواطف ، أو تنميق الصور الزائفة والتي تخلق الهالة المضخمة حول شخصيات لها ايجابياتها ولكن سلبياتها أكثر بكثير

من الإيجابيات وبالرجوع الى مخطوطة بن عبيدالله (بضائع التابوت في نتف من اخبار حضرموت) نستقرأ شخصية حسين بن حامد من جوانب هامة ونسبر شخصيته خاصة .... الخ) أهـ .

قلت : نلاحظ أنه يشدد على مسألة الإعتماد على معرفة شخصية السيد الوزير حسين بن حامد المحضار بالرجوع والركون إلى أقوال من عاصروه وعرفوه عن كثب ويقصد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى خصوصا ماساقه في كتابه : (بضائع التابوت في نتف من أخبار حضرموت) ، وقد شدد على هذا الأمر في قول آخر له في المشاركة رقم (١٨) قال ما نصه :

(والرجوع الى ماكتبوه مفيد للقارئ الذي يبحث عن الحقيقة في مضانها والأحداث في مصادرها خاصة من الذين عاصروا تلك الأحداث وكانوا حضورا لتاريخ سجله مؤرخ وعالم كبير ونسخ الاتفاقيات والاحلاف نسخا حرفيا واودعها (تابوته) وهو عبارة عن صندوق يحتفظ فيه بقصاصات وصفحات من تاريخ حضرموت ، جمعها وضمها فيما بعد في خطابه المعروف :بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت ، ألا وهو السيد العلامة بن عبيدالله) أهـ

قلت : حسنا !! وبما أنه قد أراد أن يحتج بما يقوله العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله تعالى خصوصا في معرفة سيرة وتاريخ السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ، فإنّا نقول : فليكن له ما أراد !! وسنحتج عليه بأقوال العلامة بن عبيدالله نفسه ومن نفس الكتاب الذين ينقل منه نقولاته .

وبالعودة إلى مناقشة ما كتبه في المشاركة رقم (٦) حيث قال مانصه :

(وبالرجوع الى مخطوطة بن عبيدالله بضائع التابوت في نتف من اخبار حضرموت نستقرأ شخصية حسين بن حامد من جوانب هامة ونسبر شخصيته خاصة حين نقف على سر خطير يفشيه بن عبيدالله للتاريخ ويقول : (ومن قائل ان عنده شيئا من اسرار الاسماء والحروف فهو يستخدمها في اغراضه وتثبيت مركزه ويزعمون أن محبته لأمثال السيد بروم ليست إلا لما كان من هذا القبيل .... الخ) أهـ

قلت : يزعم هنا بأنه قد وقع على سر خطير كشفه العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله تعالى ، فطار بهذا فرحا وازداد صدره به شرحا ، فهلل وردد وأرغى وأزبد ، وهو لايعلم بأن الإحتجاج بمثل هذا القول ضربٌ من اللجاج ولايعتد به إلاّ جاهل أحمق واجم العقل بليد الذهن جامد الفكر .

ولو لاحظ قول بن عبيدالله نفسه : (ومن قائل ان عنده شيئا من أسرار الاسماء) لعلم أن لاحجة له في ذلك إذ لا يعتد بخبر المجهول إلاّ جاهل مرذول ؟ لذلك قلنا أن هذا وأضرابه من العابثين يتشبّثون بالواهيات وهو لايعلم أن أهل العلم لايعتدون بخبره المجهول وإن نقله العلماء الفحول .

نعم !! لو قال العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى بأنه قد وقف على هذا بنفسه وشهد بأن السيد الوزير كان يمارس شيئا من هذا القبيل وشاهده شهود عيان فهذه حجة يسوغ الإحتجاج بها مع التنزّل في قبول (تفرّد) ابن عبيدالله بها ، أمّا وان العلامة ابن عبيدالله قد ساقها على صيغة التمريض ونسبها لمجهول فهذا مما لا حجة فيه .

ثم استرسل في قوله فقال : (قال بن عبيدالله يروى صحة هذه الشعارات والكتابات التي كانت موجهة ضد حسين بن حامد المحضار : (واصبح ذات غداة مكتوبا على باب في شبام حسين بن حامد ملعون ، فغضب لذلك) وقد توعد بإنزال أشد العقوبة لو ظفر بمن كتب ذلك ، فراجع نفسه وقال : (فإن لابد فأقتل كل من تراه من أهل شبام فكلهم يقول في نفسه ذلك القول .) أهـ .

قلت : ساق هذا القول ليظهر بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار كان من المكروهين ، ودلل على ذلك بأنه قد كُتب على أحد الأبواب في شبام (حسين بن حامد ملعون) ثم ساق القول بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار كان يتوعّد بإنزال أشد العقوبة لو ظفر بمن كتب ذلك .

وهنا نرد هذا الباطل مما كتبته يده واحتج به فنقول : طالما أنه قد زعم بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار كان يمارس أسرار الأسماء والحروف وغيرها من الطلاسم والروحانيات ويستخدمها في أغراضه فلماذا تعسّر على الوزير معرفة هوية كاتب هذه العبارة على باب في شبام ؟

ولو أنه ممن يركنون إلى الروحانيات والسحر والطلاسم لسهل عليه معرفة هوية كاتب هذه العبارة ، فأنظروا كيف ساق الدليل على براءة السيد الوزير من حيث أراد إدانته ، من هذا يتبيّن للقارئ بأن هذا ليس من الباحثين المحترفين أهل الدربة والرسوخ في البحث والمناقشة التاريخية وتحليل النصوص ، ولو كان منهم لما وجدناه يحتج بقول ينقلب عليه .

وعلى افتراض صحة مدّعاه وكُتبت يوما على بعض أبواب شبام عبارة ضد السيد الوزير حسين بن حامد المحضار ، فهذا لايدل على كراهية جميع الناس له ، فإذا كان بعض الناس لم يرض بأفعال وأقوال المعصوم صفوة الخلق محمد صلى الله عليه وآله ، وأنكروا عليه بعض أقواله وهم ممن آمنوا برسالته وعرفوا حميد خصاله كما قال أبو حذيفة بن عتبة في غزوة بدر فما بال هذا يحتج بمثل هذا السفه ؟

وعلى هذا وأضرابه أن يقرأوا التاريخ الاسلامي جيدا وسيجدون أن كبار الصحابة والأربعة الخلفاء رضي الله عنهم قد خولفوا في كثير من أقوالهم وقيلت فيهم قالة السوء ، بل تعرّضوا للقتل والتصفية فهل أصبح هذا مبررا للحط من قدرهم العالي ؟ اللهم أجرنا من الجهل .

قال إبن الوردي في لاميته :

إن نصف الناسِ أعداءٌ لمنْ ولّي الأحكام هذا إن عدلْ
ليسَ يخلو المرءُ من ضدٍّ ولوْ حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ

ثم ما الذي يضير السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى إن وُجد يوما من كتب ضده عبارة على بابٍ من أبواب شبام أو على جدار في غنيمة بن عقيل ؟

فوجود مثل هذه العبارة لاتدل على بغض الشباميين للسيد الوزيرحسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ، وعلى افتراض ان جميع أهل شبام يكرهونه فمنذ متى جُعلت المشاعر مقياسا ؟ على أن الكثير من أهل شبام يجلّون السيد الوزير ويحبونه وفيها من رجالات العلم والصلاح والخير والفضل الكثير ولا تحتاج شبام وأهلها لشهادتنا أو شهادة غيرنا .

وقد حاول هذا المتخفّي تحت هذا الاسم المستعار _فيما أذكر_ أثناء حواراتنا السابقة معه بخصوص الشيخ الجليل معروف بن عبدالله باجمال الشبامي رحمه الله تعالى ، عند ذكر إخراج السلطان بدر بوطويرق له من شبام ونفيه عنها ، حاول هذا بأن يعلّق إخراج الشيخ الجليل معروف باجمال رحمه الله تعالى من شبام على كُره وبغض أهل شبام له ، وهذا باطل بلا ريب قد رددنا عليه فريته _ وقتئذ _ وبيّنا بالأدلة بطلان قوله وأثبتنا حب الشباميين للعلماء والصالحين وأهل الفضل .

ثم استطرد هذا المتخفّي في نفس مشاركته قائلا مانصه :

(من هذا نستشف كره الناس بجميع طبقاتهم وانتماءاتهم للسيد حسين بن حامد المحضار وربما أن السيد حسين بن حامد المحضار لا ينتمي الى علماء العلويين وخاصة كما قال بن عبيدالله : كان لايحب أهل العلم ولا مساعدة المدارس ، طول أيام وزارته ، كما هي العادة الغالبة على المستبدين ...) أهـ .

قلت : هذه مصادرة لايلجأ إليها إلاّ متعنّت ، فمن أين له معرفة ما وقر في قلوب الناس جميعا من حبٍ أو كُره للسيد الوزير ؟ ثم كيف يستشف كره الناس بجميع طبقاتهم وانتماءاتهم للسيد الوزير لمجرّد وجود كتابة عبارة على باب في شبام ؟ وهل أهل شبام هم جميع الناس ؟ فإن دلّ هذا على شيء فانما يدل على التحكّم والهوى .

مع العلم أن السيد الوزير لم يكن مكروها عند جميع طبقات الشباميين فالواقع يدحض هذه الحجة ويسقط هذه الفرية ، وكيف يكون مكروها عند جميع الشباميين وهو على مصاهرة معهم فقد تزوّج السيد الوزير في شبام وتحديدا من أسرة آل التوي وتربطه علاقة حسنة مع العديد من البيوت الشبامية الفاضلة ومنهم آل باعبيد وآل شماخ وآل باذيب وآل بلفقيه وآل جبر وغيرهم فضلا عن السادة آل بن سميط .

أمّا قوله : (ربما أن السيد حسين بن حامد المحضار لاينتمي الى علماء العلويين وخاصة كما قال بن عبيد الله : كان لايحب أهل العلم ولا مساعدة المدارس ، طول أيام وزارته ، كما هي العادة الغالبة على المستبدين ...) أهـ .

قلت : هنا يحسن بنا الوقوف مليّا لبسط هذا القول وقتله بحثا وإشباعه تحليلا وتمحيصا فنقول التالي : قوله : (ربما) لايبرر له أن يبني عليه حكما ، أما محاولته إخراج السيد الوزير من قائمة علماء العلويين فهذا يقوم على سوء فهم قول العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى ، فتشبّث بقوله : (كان لايحب أهل العلم ولا مساعدة المدارس طول أيام وزراته ..... الخ) أهـ .

وللرد على هذه الشبهة وتبيين الإشكال في هذه العبارة التي استدل بها وأراد بمقتضاها إخراج السيد الوزير حسين بن حامد المحضار من قائمة علماء السادة العلويين نقول :

الإشكال لايكمن في عبارة العلامة بن عبيدالله رحمه الله _ وسنقوم بشرحها والرد عليها وتفنيدها _ ولكن الإشكال يكمن في قصور فهمه وجهله بدلالات الألفاظ ، ونتيجة لذلك القصور توهّم أن قول بن عبيدالله عن السيد الوزير (لايحب أهل العلم) هو إنكار لأعلمية السيد الوزير وإخراجا له منها ، فإنتفاء المحبة لأهل العلم لاتعني نفي العلم ذاته ، وحتى نشبع المسألة ايضاحا نقول :

أولا : العلامة بن عبيدالله نفسه وغيره من علماء حضرموت ممن عاصروا السيد الوزير يعلمون أنه ممن يحفظون ويعظّمون القرآن الكريم ، ومن حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وعظّمه فلاشك أنه من أهل العلم ، وبما أن القرآن الكريم هو كلام الخالق سبحانه وتعالى ، وهو أساس العلوم جميعا فمن تمكّن من حفظ وتعظيم الأساس الذي قامت عليه العلوم كيف لايكون من العلماء ؟ إذ لايمكن لإنسان أن يعظّم أمرا يجهله .

ثانيا : هناك العديد من علماء السادة العلويين وأعلامهم وأفاضلهم ممن عاصروه وعرفوه عن كثب ممن أقرّوا بأعلمية السيد الوزير رحمه الله تعالى ومنهم العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله نفسه وحتى ندلل على ذلك ونقطع جهيزة قول كل خطيب نقول : قال العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في قصيدة رثاء بوفاة السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ما نصه :

لقد ذاب من حر النوى كل جامدِ ** غداة نعى الناعي حسين بن حامدِ
مليح المحيّا واسع العفو كلما ** جفونا رأينا منه أشفق والدِ
يهش لمن لاقى بلا مثنوية ** فيصدر عن ملء الرضا كل واردِ
فلا قلب إلاّ رهن خفّة روحهِ ** ومنطقه العذب الجميل الفوائدِ
ولولا إحتباس القول بالحزن والأسى ** لقيّدت من أخلاقه كل شاردِ
على أنني قد رثيته في حياتهِ ** وفصّلتُ من أحواله في قصائدِ
فآهٍ على تلك المزايا التي انطوت ** وأضحت بها العلياء من غير ساعدِ

هذه أبيات من قصيدة كتبها العلامة بن عبيدالله في رثاء السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمهما الله تعالى ، ومن يقول عن رجل هذا القول لا ريب أن يعدّه من أهل العلم والمعرفة والفضل وكريم الأخلاق ؟ فقول العلامة بن عبيدالله : (ومنطقه العذب الجميل الفوائدِ) دلّ على أعلمية السيد الوزير رحمه الله تعالى ، إذ لا تتحصل (جميل الفوائد) إلاّ من منطق أهل العلوم والمعارف وهذا مما يدرك بداهةً .

واليك ما قاله السيد العلامة عمر بن أحمد بن سميط رحمه الله تعالى في رثاء السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمهما الله تعالى ننقل بعضا منها فقال ما نصه :

على الفضل نبكي أم لفقد المحامدِ ** من الأرض أم نبكي حسين بن حامدِ
لقد كان للإصلاحِ روحا وللعلا ** وركناً وللعارفين عذب الموارِدِ

قلت : هذا أحد علماء السادة العلويين الكبار ممن عاصروا السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ، وهاهو يصفه قائلا : (وللعارفين عذب المواردِ) ومن كانت هذه صفته لايكون إلاّ من كبار أهل العلم إذ لايمكن أن يكون للعارفين موردا عذبا إلاّ من كان من أهل العلم والمعرفة ، أمّا احتجاجه بقول العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى مانصه : (كان لايحب أهل العلم ولا مساعدة المدارس طول أيام وزراته ...الخ) أهـ . فقول مردود من وجوه عدّة منها :

الوجه الأول : الحب والكُره مسألة قلبية وما كان قلبيا فليس من اليسير الوقوف على صحّته ومعرفة كنهه وإن ظهر على السلوك ، فرب مظهر للحب مبطن للبغض أو مظهر للسخط مبطن للرضا والعكس ، وهذا مما قاله العلامة بن عبيدالله نفسه وفي نفس الكتاب الذي يحتج بما فيه بل ومما نقله وكتبه بيده في مشاركته رقم (١٨) ، قال العلاّمة بن عبيدالله رحمه الله تعالى عن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى : (وكان السيد حسين يتظاهر بالسخط عليّ أمام الناس حتى لقد أخبرني جماعة ممن حضر مجلسه يومئذ منهم الأمير علي بن صلاح وهو يتكلّم عليّ أمام رؤساء يافع[1]) أهـ

فهاهو العلامة بن عبيدالله يقرّ بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمهما الله تعالى كان (يتظاهر) بالسخط عليه أمام الناس ، وابن عبيدالله نفسه يعلم محبة السيد الوزير له وقد عبّر عنها كثيرا تصريحا أو تلميحا . وقوله (يتظاهر) دلّ على إبطان خلاف ما يُظهِر .

---

(١) بضائع التابوت : ٣/ ١٠٨ مخطوط

الوجه الثاني : إستدلاله بقول العلامة ابن عبيدالله السقاف : (وكان لايحب أهل العلم) أهـ ، قول مردود خصوصا إذا علمنا أن العلامة بن عبيدالله نفسه ذكر ما يدل على محبّة السيد الوزير لأهل العلم عندما قال في بضائع التابوت عن قدوم السيد حسين بن حامد المحضار الى سيئون لعقد الصلح مانصه : (وفي اليوم الثاني من وصوله الى سيئون زارني برغم تثبيط الكثير له من العلويين عن زيارتي ولكنه أبى إلاّ أن تكون أول أعماله وحضر بحضوره الجم الغفير[1]) أهـ .

قلت : ما الذي يجعل السيد الوزير حسين بن حامد المحضار يقوم بزيارة العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله في بيته ؟ ولماذا حرص على القيام بهذه الزيارة رغم تثبيط الكثير من العلويين له ؟ ولماذا أبى إلاّ أن يزوره ؟ ولماذا حرص على أن تكون هذه الزيارة أول أعماله بسيئون ؟ ألاّ يدل هذا على حب السيد الوزير لأهل العلم ؟ إذ لو كان عبدالرحمن بن عبيدالله من جهّال سيئون وتنابلتها لما حضر السيد الوزير لزيارته في بيته ، ثم ما الذي يجعل السيد الوزير رحمه الله تعالى يرسل رسالة من شبام وجهها إلى العلامة بن عبيدالله يشكره على قيامه خطيبا يوم الجمعة بعد أن تأخر خطيب المسجد ، وبعد منع الخطبة في صلاة العيد بالقرن في سيئون من قبل السلطان الكثيري وعدوله بالموافقة بعدئذ ، والقصة مبسوطه في بضائع التابوت ٣/ ١٤٢ ، فقام العلامة بن عبيدالله خطيبا فعلم بذلك السيد الوزير فأرسل اليه يشكره فيها على صنيعه ؟ هل دفعه لذلك غير حبه لأهل العلم ؟

---

(١) بضائع التابوت : ٣/ ١١٣ مخطوط

ثم ماذا يكون الأمر لو قيل : بأن كثير من السادة العلويين لايحبّون العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف خصوصا أنه ذكر ذلك بنفسه في قوله : (رغم تثبيط الكثير له من العلويين عن زيارتي) أهـ ، فهذا مما يدل على أن الكثير من العلويين لايريدون السيد الوزير أن يذهب إلى بيت العلامة بن عبيدالله ويريدون منه أن يهمّشه ويتجاهله ، فأعطى السيد الوزير أهل العلم حقّهم من التقدير والإجلال في شخص العلامة بن عبيدالله .

الوجه الثالث : من يحرص على الذهاب إلى بيوت أهل العلم إجلالا لهم لايمكن بحال من الأحوال أن يتكاسل أو يتقاعس عن خدمة المدارس أو الصروح العلمية وقد ثبت أن بنيت في عهد وزارته المدارس وأسس منها ماهو أهليّا كمدرسة الفلاح التي أسست سنة ١٣٤٣هجرية وهذا يدل على تشجيع الأهالي على التعليم وإنشاء الصروح العلمية ، وكانت هناك المدرسة الوطنية والسلطانية .

الوجه الرابع : ان كان العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله تعالى قد أقام مبنى قوله (كان لايحب أهل العلم) أهـ ، على ما ذكره في بضائع التابوت مما أخبره به السيد الوزير حسين بن حامد المحضار عندما عارض السيد أحمد بن حسن العطاس رحمه الله تعالى ، أثناء بعض جلسات الدروس ، وقد نقله هذا العابث مما سنتعرّض لبسطه وتفصيله لاحقا ، فما قاله السيد الوزير حسين بن حامد المحضار للسيد أحمد بن حسن العطاس رحمهما الله تعالى لايقاس ولايقارن بما قاله العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله في السيد علي بن محمد الحبشي رحمهما الله تعالى ، فليرجع الى تابوت بن عبيدالله ولن يجد مقارنة بين علاقة السيد الوزير بالسيد أحمد بن حسن العطاس ، وعلاقة العلامة

بن عبيدالله بالسيد علي بن محمد الحبشي ، ثم ماذا سيكون قول العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى لو أُلزم بما ألزم به نفسه وقيل عنه بأنه لايحب أهل العلم ؟ خصوصا عندما ساءت علاقته بالسيد علي بن محمد الحبشي وغيره من علماء حضرموت ؟

فلذلك نقول : ان المسألة لايجب أن تؤخذ بهذا المأخذ فالكثير من أكابر العلماء تكلموا في بعضهم بعضا فلم يخرجهم ذلك من دائرة محبة أهل العلم ، فالخلافات الشخصية أو الخلاف القائم على الإختلاف الفكري أو الفقهي أو المذهبي أو العقدي ليس دلالة على عدم محبة أهل العلم ولايقول بهذا إلاّ قاصر الفهم .

أمّا نقله قول العلامة بن عبيدالله : (كما هي العادة الغالبة على المستبدّين) أهـ . فقد أجبنا على ذلك وأسقطناه فيما تقدّم ، ولو كان السيد الوزير من المستبدين حقا لما سلم من استبداده العلامة بن عبيدالله نفسه فقد كان ممن يعارضه ولم يلق من السيد الوزير إلاّ كل حب وتقدير ، ولو كان من المستبدين لما تجرأ شاعر من عامة الناس على تحدّي الوزير شعرا كما فعل الشاعر بن ماضي .

ثم استطرد في قوله :

(لهذا لاغرابة أن يلجأ الى المدفع والبندقية في إخضاع القبائل المناوئة للسلطنة أو المعارضة له ، وهذه القاعدة تخالف مبادئ السادة العلويين الذين كسر جدهم الفقيه المقدم محمد بن علوي باعلوي السيف ، وحمل العصا واتجه للزهد والتصوف ، وكسب قلوب الناس بالحب واشاعة المحبة) أهـ

قلت : من دلائل قصور معرفته وفهمه لتاريخ السادة العلويين ودقائقه إستدلاله بحادثة كسر الأستاذ الأعظم الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي رضي الله عنه وأرضاه للسيف واتجاهه للزهد والتصوّف ، وهذا القول لايروّج له إلاّ من لم يقف على حقيقية هذه الحادثة من مصادرها الصحيحة ، فالفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي لم يطرح سيفه إختيارا كما زعم البعض من أعلام ودعاة العلويين المتأخرين وغيرهم ممن روّجوا لهذه المسألة دون الوقوف على حقيقتها ، فتلقفه العوام ولاكته ألسنهم ومضغته أشداقهم ، بل وضعه إضطرارا لا اختيارا ، وقد بسطنا المسألة ونقلنا في كتابنا (التعليق المبسّط على كتاب النمط الأوسط) أقوال العلماء المحققين من السادة العلويين أنفسهم وقولهم أن الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي لم يطرح السيف لسلوكه طريق التصوّف ، وانما طرحه إضطرارا لدرء الفتنة وإبطال وشاية الوشاة وقتئذ ، فلينظر الى المسألة بدليلها وتعليلها في الصفحات (٢٥ _ ٣٦) من كتابنا فليراجعها المستزيد هناك .

واستطرد في مشاركته نفسها قائلا :

(ايضا يبين لنا بن عبيدالله جانب مهم من شخصية وسلوك السيد حسين بن حامد المحضار من حيث شدة حرصه على ابعاد الأذكياء من التقرب من السلطان القعيطي خشية على نفوذه ومكانته يقول بن عبيدالله : (من أمثلة ذلك أن نشأ للسيد أبوبكر بن عبدالله الهدار ولد نبيه مثقف يقال له صالح ، فأحبه السلطان فخاف السيد حسين بن حامد من تمكنه لديه ، فهيأ له وظيفة عند البس بالسواحل الأفريقية بمرتب ضخم فذهب إلى هناك واستقام حاله وارتقت اشغاله) أهـ

قلت : هذه دعوى _كسابقتها _ أقامها العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى ولم يقم البيّنة عليها ، ولا يصح القول إلاّ بدليله كما قال الحافظ ابن عبدالبر في كتابه : جامع بيان العلم وفضله ما نصّه : (ان القول لايصح لفضل قائله وانما بدلالة الدليل عليه) أهـ ، وقال أيضا : قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : (ليس كلما قال رجل قولا وإن كان له فضل يُتبع عليه[1]) أهـ

ثم أن هذا الخبر نقله العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى متفرّدا به ، ولم نقف _ فيما نعلم _ على هذا القول في أقوال من عاصروا السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ولا غيرهم ، وعدم علمنا بالأمر لاينفي وجوده ، ولكن علّة التفرّد قادحة في هذا القول إذ لاوجود لما يعضد القول هذا من جهة .

أمّا من أخرى فالذي يجعل العلامة بن عبيدالله رحمه الله يجزم بحب السلطان القعيطي للسيد الهدار ؟ هل أخبره السلطان بذلك ؟ فإن أخبره لماذ لم يذكر ذلك ؟ ثم ما الذي يجعله يجزم بخوف السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله من هذا الأمر ؟ هل أخبره الوزير بذلك ؟ هذا مالم يذكره بن عبيدالله نفسه ، وعليه فإن هذا قول لا زمام له ولا خطام ، وليس ببعيد ان يقيم العلامة بن عبيدالله هذا القول على الظن والأوهام وكما قال العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى في كتابه : تاريخ المذاهب الإسلامية قال ما نصه : (ليست الأوهام مقصورة على العوام بل أن العلماء قد تسيطر عليهم أوهام تغشى بصائرهم فلا يدركون الحقائق على وجهها[2]) أهـ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٣٩٥ الطبعة الأولى ، طبعة مكتبة ابن تيمية

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية : صفحة / ٩ طبعة دار الفكر العربي

واستطرد في نفس المشاركة قائلا :

(ولم تدم سلطة ونفوذ السيد حسين بن حامد المحضار على حالها فقد نجح الوشاة في هز الثقة به عند السلطان غالب القعيطي يقول بن عبيدالله : (في عام ١٣٢٤هـ أوغر الوشاة صدر السلطان صالح بن غالب على المترجم حسين بن حامد وكان حسب ما قدمنا نافذ الأمر عند جده فقدم المكلا وفيها أبوه السلطان غالب ، فأحضر السيد حسين بن حامد في بيته وأرجف الناس وفرض السلطان صالح حراسة على باب دار السيد حسين بن حامد يمنعه من الاتصال أو الفرار وقد أكد الوشاة للسلطان صالح أن السيد حسين بن حامد يختان المال العام يقول بن عبيدالله : غير أن الوشاة أكدوا لهم أنه يختان أموال الدولة ، ويعمل على إزالتها ، ويمهد لآل كثير) أهـ .

قلت : يكفي دلاله على جهله أن قال : (فقد نجح الوشاة في هز الثقة به عند السلطان) ولو علم ماهو مدلول لفظ الوشاة وماهو مبناه ومعناه ومن هو الواشي لما استدل بهذا القول فليرجع إلى المعاجم والقواميس ولينظر الى ماقاله الفيروزابادي والرازي في معاجمهم وقواميسهم وسيعلم أن الوشاية هي السعي بالقول وتحسينه (بالكذب) .

قال الرازي في مختار الصحاح : (وشى : كلامه أي كَذَبَ ، ووشى به الى السلطان وشاية أي سعى) أهـ وقال الفيروزابادي في القاموس المحيط : (كوشاة : كذّبَ فيه ، وبه الى السلطان وشيا ووشاية : نمّ وسعى) أهـ . فالوشاية في القول تدل على : تنميق القول وتحسينه بالكذب والسعي فيه ، فجاء هذا البائس ليستدل به على خيانة السيد الوزير للسلطان ، وهو لايعلم أن

الواشي لايبني قوله إلاّ على الكذب وتحسينه ، فنقل بجهله قولا ينزّه به السيد الوزير من حيث أراد أن يتهمه ويقدح فيه وهكذا يفعل أهل الجهالات .

ثم أن العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله رحمه الله أيضا قد عانى من وشاية الوشاة للسلطان وقد ذكر ذلك في بضائع التابوت (٣/ ١٤٢) عندما وشى بخيت عبدالخير وبعض عبيد السلطان بوشاية الى السلطان الكثيري بأن خطبة العيد في القرن بسيئون التي سيلقيها العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله ستسبب فتنة ، فأمر السلطان بمنع الخطب وبقي مسجد القرن يوم العيد بلا خطبة وعندما علم السلطان بمضامين الخطبة وقُرأت عليه بعدئذ أخبر العلامة بن عبيدالله بأنهم قد وشوا اليه . فهل أنقصت هذه الوشاية من العلامة بن عبيدالله قدرا ؟ أم أنها منقصة في حق بعض السلاطين الذين يتلاعب بهم بعض العبيد من عساكرهم ؟

ثم قال أيضا في نفس المشاركة ما نصه : (وفي أثناء تلك الأزمة أزمة نزع الثقة من السيد الوزير حسين بن حامد المحضار) أهـ

قلت : هذه مراغمة ، فقوله (نزع ثقة من السيد الوزير) دعوى بالباطل وتقوّل بما لم يقله أحد من قبله عن نزع السلطان الثقة عن وزيره السيد حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى فإن لم يكن هذا كذب فاضحا فهو جهلا قادحا ينكشف بما يلي :

أولا : من تنزع عنه الثقة لايمكن بحال من الأحوال أن يظل وزيرا حتى مماته ، ولم يثبُت أن السلطان أصدر مرسوما بتنحية الوزير حسين بن حامد المحضار عن الوزارة حتى يسوغ له أن يجازف في القول ويدّعي نزع الثقة ، أليس هذا من الكذب ؟

ثانيا : لو أن السلطان قد نزع الثقة من السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى لما استخلف ابنه من بعده في الوزارة ، وهذا مما يدل على بقاء الثقة بالسيد الوزير وبإبنه وبأسرته كلها فمن غير المستقيم أن تنزع الثقة عن وزير ثم يُكلّف ولده ويعيّن خلفا لأبيه بعد مماته .

وفي تاريخ : ٩/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية في نفس الموضوع كتب في المشاركة رقم (٩) مانصه :

(كان السيد حسين بن حامد المحضار يقوم بمهمة وزير السلطنة القعيطية إذ لم يكن بالسلطنة إلا وزيرا واحدا ، تلك السلطنة الضعيفة المتهالكة المضطربة يدير شؤون توسعها وبسط نفوذها رجلا واحد اسمه حسين بن حامد المحضار ، منحه السلطان غالب بن عوض القعيطي صلاحيات كاملة ، ووقع له على اوراق رسمية بيضاء عليها ختمه وامضاءه فقط ، وما يريده السيد حسين بن حامد المحضار يمليه ويكتبه ..... الخ) أهـ .

قلت : لاشك أن هذا يهذي بما لايدري ، فهو لايدري مامعنى الوزير وما معنى الوزارة في تعريف أهل العلم ، وحتى نوقف هذا المتعالم على ماقال أهل العلم في الوزارة والتوزير نقول التالي :

قال قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفي سنة ٤٥٠ هجرية في كتابه : (الأحكام السلطانية) مانصه : (الباب الثاني في تقليد الوزارة : والوزارة على ضربين : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ ، فأما وزارة التفويض فهو أن يستوزر الإمام من يفوّض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضائها بإجتهاده ، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة ، قال تعالى : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ فإذا جاز هذا في النبوّة كان في الإمامة أجوز ، ولأن ما وكّل إلى الإمام من تدبير الأمة لايقدر على مباشرة جميعه إلاّ بالإستنابة ، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرّده بها ليستظهر بها على نفسه وبها يكون أبعد عن الزلل وأمنع من الخلل _حتى قال عن الوزير المفوّض _ مانصه : أن يكون من أهل الكفاية فيما وكّل إليه من أمر الحرب والخراج خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما[1]..... الخ) أهـ

قلت : هذا هو عين توزير السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى ،وبما أن السيد الوزير من أهل العلم والمعرفة فهو يعلم مناط تكليفه كوزير مفوّض لا وزير منفّذ ، وهذا عين ماجهله هذا المتخفّي ، أما الضرب الآخر من الوزارة فيقول الماوردي مانصه :

(فصل : وأمّا وزارة التقليد فحكمها أضعف وشروطها أقل ، لأن النظر فيها مقصور على رأي الإمام وتدبيره ، وهذا الوزير وسط بين الرعايا والولاة يؤدي عنهم ما أمر وينفّذ ما ذكر

---

(١) الأحكام السلطانية : صفحة ٢٥ طبعة دار الفكر

ويمضي ماحكم ، ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما ورد من مهم وتجدد من حدث ملم ليعمل فيه ما يؤمر به فهو معين في تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلدا لها[1]) أهـ

وبما أن هذا يجهل تعريف الوزارة تعريفا علميا شرعيا ، نجده يقول : (منحه السلطان غالب بن عوض القعيطي صلاحيات كاملة ، ووقع له على اوراق رسمية بيضاء عليها ختمه وامضاءه فقط) أهـ ، ولو علم هذا ان السيد الوزير حسين بن حامد المحضار وزيرا مفوّضا وبمقتضى هذا التفويض يقوم مقام من فوّضه فيصدر أهم قرارات الدولة كقرار السلم والحرب لما تفوّه بما يدل على جهله في تعريف هذه الامور تعريفا شرعيا .

وفي هذه الوقفة نضع بين أيدي القارئ الكريم نص الوثيقة التي بموجبها تم تكليف وتفويض وإنابة السيد الوزير حسين بن حامد المحضار وزيرا مفوضا ونائبا شرعيا عن السلطان ومتصرفا في كل ممتلكاته وقائما مقامه ونصها :

(الحمد لله أما بعد : فقد أقمنا وولينا وأنبنا الحبيب الجليل الفاضل حسين بن حامد بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم أميرا متصرّفا في ولايتنا كلّها وممالكنا بأسرها ، المكلا والشحر والديس والحامي وقصيعر وشحير وغيل ابي وزير وبروم وفوّه وشبام وحوره والهجرين ودوعن ليمن وليسر ومتعلقات ذلك كله وتوابعه ، وبالجملة ممالكنا جميعها ، يسوس رعاياها وعساكرها

(١) الأحكام السلطانية : صفحة ٢٥_ ٢٦ طبعة دار الفكر

وعبيدها ويدفع عنها مضارها ويستجلب مصالحها ويولّي القضاة فيها فيها ويعزلهم والأمراء من تحته ويعزلهم ، ومعشراتها ومداخيلها تحت نظره وتصرّفه ، ويصرف للعساكر والقضاة والعبيد والنواب والكرانية والخدامين وغيرهم مشاهراتهم ونوكرياتهم وكيلهم ، أقمنا وانبنا وولينا الحبيب حين بن حامد المذكور في جميع ماذُكر نيابة وولاية صحيحة معتبرة شرعا وعرفا وأقمناه مقامنا في ذلك كله ونوصيه بتوقى الله تعالى والرفق والرأفة والرحمة بالضعفاء والمساكين والرعايا كما هو شيمته والله تعالى ولي التوفيق وبه الإعانة وعليه التكلان وصلى الله على سينا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين[1]) أهـ .

أما قوله عن السلطان القعيطي ما نصه : (ذلك في ظل حكم سلطان ضعيف وجاهل يؤمن بالخرافات واباطيل الدجالين ، الى حد أنه كان يشتري الصكوك منهم لقصور موعود بها في الجنة فيات وفي خزينته الخاصة عشرات الصكوك من تلك الضمانات ، يقول عنه المؤرخ ابن عبيدالله : فتراه كثيرا ما ينخدع بأباطيل الدجالين ، واضاليل الكذابين ، حتى لقد أجتمع عنده عدة صكاك من ضماناتهم له بالجنة ، وكان أحدهم يعتاد المجئ إليه في الخلوة ، وينهي له السلام من الشيخ يعقوب ، صاحب التربة بالمكلا ، ويذكر له من حبه له فقال له السلطان : إن كنت صادقا فأنا حري على الاجتماع به في الحس ، ورؤيته كفاحاً في اليقضة ، فأجابه بإمكان ذلك ، غير أن استمهله بأخذ

(١) نقلا عن كتاب (الزعيم) للمؤلف السيد : حامد بن أبي بكر المحضار رحمه الله تعالى ، وقد أرفق السيد المؤلف صورة من الوثيقة في كتابه

رأي الشيخ يعقوب ، ويعين له موعد الاجتماع ، ثم تواطأ مع شريك له في العمل ، جلس على القبر بكم كالخرج ، وتاج كالبرج ، وهيئة تناسب الحال ، وتصدق المقال ، ثم دعى السلطان عند استثقال المضاجع ، وما الفاه السحر إلا وهو راجع ، وهكذا راجت الخديعة) أهـ

قلت : على افتراض صحة قوله والتسليم به ، فإن هذا ليس حصرا أوقصرا على سلاطين السلطنة القعيطية فحسب ، بل هناك من سلاطين الدولة الكثيرية من جعل من نفسه خادما لبعض أعلام التصوّف في حضرموت يأمره بما شاء وكيفما شاء ويجده مريدا مطيعا ، فلينظر الى ترجمة السلطان علي بن عمر بن جعفر كمثال وماذا كانت العلاقة بينه وبين الشيخ معروف بن عبدالله باجمال الشبامي فلا حاجة للإسهاب في سرد المزيد من تراجم بعض أمراء آل كثير ممن تعلّقوا بالتصوّف والروحانيات والسلوك والتهذيب، ولو أردنا ذلك لطال بنا المقام ولسنا هنا في معرض الإزراء بهم أو انتقاصهم .

ومن باب التعضيد فإن ذلك لم يكن قصرا على سلاطين آل كثير ولا حصرا على سلاطين القعطة أنفسهم ، بل كان بعض سلاطين دولة آل يماني قد سلكوا هذا المسلك ، فقد اتخذ السلطان مسعود بن يماني من الشيخ باخطيب صاحب الوعل شيخا له ، فتاب على يده وتخلّى عن السلطة وسلك سلوك التصوّف وكان من مريدي الشيخ باخطيب وقد تخلّى هذا السلطان لولده عمر ومن باب الإستزادة فقد يظن البعض ان السادة العلويين هم أول من بنوا القبب على الأضرحة في حضرموت ، وهذ ليس بصحيح فإن أول من بنى قبة على ضريح بحضرموت هو السلطان عمر بن مسعود بن يماني الذي امتدت ولايته حتى سنة ٦٧٥ هجرية ، وقد بناها على قبر والد السلطان

مسعود المتنحّي عن السلطة السالك مسلك التصوّف فقد ذكر ذلك العلامة الباحث عبداللاه بن حسن بلفقيه[1] نقلا عن العلامة الخطيب في كتابه : برد النعيم والأستاذ الشاطري في أدواره[2] .

أمّا قوله عن السلطان القعيطي : (ذلك في ظل حكم سلطان ضعيف وجاهل) فالضعف ما أكثر شواهده في العديد من السلاطين التي تعاقبوا على حكم حضرموت ولم يسلم من ذلك بعض سلاطين الدولة الكثيرية ، فإذا كان السلطان القعيطي بهذا الضعف حتى أصبح دميّة يتلاعب بها السيد الوزير حسين بن حامد المحضار _ كما أراد أن يقول _ فبعض سلاطين آل كثير تلاعب بهم وتحكّم بقراراتهم بعض العبيد من عساكرهم كما ورد في بضائع التابوت ، ولاشك أن هناك بونا شاسعا بين سلطان يتحكّم فيه وزيره وآخر يتحكم فيه عبد من عبيده ، فأيهما أضعف ؟

فلننظر إلى ماكتبه العلامة بن عبيدالله السقاف في نفس الكتاب الذي ينقل منه وتحديدا في المجلد ٣ الصفحة ١٤٢ ، وسيقف على نماذج من تلاعب بخيت عبدالخير وشلّة من العبيد بالسلطان الكثيري ، وسيرى كيف كانوا يتحكمون في قراراته .

---

(١) الفرائد في قيد الأوابد والحاق الشوارد : صفحة ٢٧١ طبعة دار تريم للدراسات والنشر

(٢) أدوار التاريخ الحضرمي : ٢٢٨/١

وأمّا الجهل فإن كان هذا يصف سلاطين السلطنة القعيطية بالجهل أو بعضهم تحديدا فماهي الشهادات العلمية التي حصل عليها سلاطين السلطنات الأخرى في حضرموت حتى يرمي الجهل بالتشهّي على من كَرِه ويصرفه عمّن يحُب ؟ على أن قوله عن إمكان الإجتماع بمن ماتوا في قديم الأزمان قول يستحق الوقوف عنده لكننا سنقف فيما يأتي عند هذه المسألة ونعطيها حقها في القول لاحقا .

أما قوله : (يؤمن بالخرافات واباطيل الدجالين) أهـ . فهذا قول لايدل على العلم فالمسائل العقدية ليس ضابطها مجرّد العلم والثقافة واتساع المدراك فحسب بل لها ضوابط أخرى تهيمن عليها وتجعلها من ضمن مفاهيم وقناعات بعض كبار المثقفين والعلماء ، ودليل ذلك نلحظه في الكثير من حملة الشهادات والأكاديميين الذين يحملون أعلى الشهادات العلمية بل منهم من بلغ مرتبة الأستاذية فضلا عن الدكتوراة أو الماجستير ، وإلاّ كيف نفسر عبادة بعض أصحاب كراسي الأستاذية والدكاترة في مجالات علمية مرموقة لبعض الأبقار فيغتسلون ويتبركون بأبوالها ؟

من ذلك نعلم يقينا ان الإنحرافات العقدية لايضبطها مجرّد العلم والمعرفة فحسب وانما لها ضوابط أخرى إلى جانب العلم تعدّل هذا الإنحرافات خصوصا ان الجانب العقدي في المرء من أسهل الجوانب التي يسهل التلاعب بها وتوجيهها بشتى الأساليب ولأهل ذلك صنوف من الأحابيل والأضاليل ، ثم أننا اليوم في عصر العلم وثورة المعلومات وتطور العلوم الإنسانية ، رغم كل ذلك نجد أن أعتى أجهزة المخابرات العالمية تستخدم الدجالين وأهل الشعوذة ، بل أن العديد من الأجهزة الأمنية المتطورة ، تستخدم السحرة والمشعوذين أيضا في عصر العلوم والتقنية فإن لم يغب الأمر عنه فبماذا يفسر ذلك ؟ وإن غاب فهاهو قد علم والسلام .

ثم استطرد في نفس المشاركة قائلا :

(وكان ايضا يشكك في علوم القوم ويستهزئ بها جهارا فقد روى عنه بن عبيدالله قوله : (حدثني بقصة جرت له مع الاستاذ الوالد أحمد بن حسن العطاس ، قال : لما وردت القويره القيته بها قبيل موته بمدة يسيرة ، فبينما نحن معه يوما في مجلس مشهود ، أجتمعت فيه من كل ناحية الوفود ، وتلميذ له يقرأ في مجموعة كلامه حتى أتى على ذكر شئ من أحوال الكشف ، يذكر فيه اجتماعه بالمتقدمين يقظة ، قال : فلم أشعر إلا وانفلت مني أن قلت له : ياعم أحمد أما نحن فنكذب على الناس والأمر سهل ، ونخاف أن يكون كلامكم هذا كذبا على الله ، فوجم لها القوم كأنما ضربوا بصاعقة وغلب عليّ بأثرها الخجل) انتهى كلام بن عبيدالله .

ثم كشف عن استقرائه لهذا الحدث فقال : (نستقرأ من ما رواه السيد حسين بن حامد المحضار مصداقيته في الاعتراف بالكذب فقط ، وهذه المصداقية الوحيدة التي يعترف بها من يشتغل بالسياسة وإدارة شؤون الحكم و أمر الوزارة ، فالصدق عند مثل هؤلاء هو اعترافهم بانهم يكذبون على الناس وفي رأيهم ان الكذب مباح لهم فالسياسة لعبة قذرة تقوم على النفاق والكذب امره سهل وربما لايعلم السيد حسين بن حامد المحضار بأن الكذب من آيات النفاق ولكن حاله حال من اندفعت نفسه بشهوة جامحة نحو الشهرة والسلطة ، حتى يرى أن الدولة والتسلط على الناس هي الجنة الموعودة ..... الخ) أهـ

قلت : قوله (وكان يشكك في علوم القوم ويستهزئ بها جهارا) أهـ ، سينكشف لنا اضطرابه وتناقضه عندما نخضع قوله هذا للمناقشة والتحليل ، وسينكشف لنا حتى غرابة قول العلامة بن عبيدالله نفسه واضطرابه وحتى نكشف هذا نقول :

نقل المذكور _ فيما تقدّم _ قول العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى عن السلطان القعيطي مانصه : (وكان أحدهم يعتاد المجئ إليه في الخلوة ، وينهي له السلام من الشيخ يعقوب صاحب التربة بالمكلا ، ويذكر له من حبه له فقال له السلطان : إن كنت صادقا فأنا حري على الاجتماع به في الحس ، ورؤيته كفاحاً في اليقضة ، فأجابه بإمكان ذلك ، غير أن استمهله بأخذ رأي الشيخ يعقوب ويعين له موعد الاجتماع ، ثم تواطأ مع شريك له في العمل ، جلس على القبر بكم كالخرج ، وتاج كالبرج ، وهيئة تناسب الحال ، وتصدق المقال ، ثم دعى السلطان عند استثقال المضاجع ، وما الفاه السحر إلا وهو راجع ، وهكذا راجت الخديعة) أهـ

قلت : هكذا وجّه العلامة بن عبيدالله رحمه الله سهام نقده للسلطان القعيطي وأظهر سذاجة هذا السلطان وتصديقه بعض ممن يعتاد المجئ الى خلوته عندما يعده بمقابلة الشيخ يعقوب وساق القصة ووصفها بأنها خديعة راجت على السلطان ، فأنكرها عليه حيث ساقها في معرض النقد لامعرض الثناء . فطار بها هذا فرحا واستغلها للحطّ من قدر السلطان القعيطي الذي يصدق مثل هذه الخديعة ، وعندما ساق العلامة بن عبيدالله انكار السيد الوزير لقول العلامة أحمد بن حسن العطاس في الإجتماع ببعض المتقدّمين يقظة ، التقطها مسارعا للحطّ على الوزير ، فكيف ينكر هناك على السلطان تصديقه بخدعة الاجتماع بالشيخ يعقوب وينكر في نفس الوقت على السيد

الوزير اعتراضه على السيد أحمد بن حسن العطاس عندما يدّعي الإجتماع بالمتقدمين ؟ مع ان تصديق السلطان ومزاعم العلامة أحمد بن حسن العطاس واحدة .

هنا يظهر التحكّم والهوى والتحامل المقيت على السيد الوزير ، فما يدّعيه السيد العلامة أحمد بن حسن العطاس رحمه الله تعالى ، هو عين ما يصدّق به السلطان القعيطي ، فلماذا يوجّه نقدهم على السلطان القعيطي وحده ؟

وحتى تتجانس مواقفهم من القضية وتتسق ، يجب عليهم الانكار على السيد أحمد بن حسن العطاس رحمه الله تعالى الذي يدّعي الاجتماع ببعض المتقدمين كما أنكروا ذلك على السلطان القعيطي حيث أن الدعوى واحدة هكذا يتسق موقفهم في القضية ولا يضطرب ، وإلا فليدعوا الإنكار برمّته ، فالسيد الوزير رحمه الله تعالى لم ينكر على العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس إلاّ ما أنكره العلامة بن عبيدالله على السلطان القعيطي .

مع الأخذ في الحسبان ان اختلاف أهل العلم في مسألة الاجتماع بالمتقدمين في اليقظة أمرا قائما بين منكر ومثبت ، والمسألة برمّتها من المسائل الخلافية ، وقد كتب أهل العلم فيها الكثير والنافي والمثبت كل منهم يتكئ على أدلّته ، وللحافظ السيوطي رسالة في ذلك اسماها (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والمَلَك) ساق فيها أدلّته على ذلك بقطع النظر عن صحة أوبطلان تلك الأدلة إلاّ أن المسألة تبقى ضمن الخلافيات .

مع الأخذ بعين الاعتبار قول السيد الوزير في هذه الحادثة مما نقله العلامة بن عبيدالله : (فلم أشعر إلاّ وانفلت مني) وما يتفلّت على المرء عن غير قصد لا مؤآخذة فيه عليه ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى لايؤآخذ عباده على اللغو في الأيمان ويؤآخذهم على ما كسبت قلوبهم قال تعالى : ﴿ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فهل نؤآخذ رجلا بفلتة لسان خجل بعد قولها ؟ خصوصا أنه أعقب بقوله : (وغلب عليّ بإثرها الخجل) أهـ . وشعوره بالخجل دليل رجوعه ولو كان جازما في قوله معتبرا صحة اعتقاده به ما خجل منه .

أمّا قول السيد الوزير للسيد أحمد بن حسن العطاس رحمهما الله تعالى مانصه :

(يا عم أحمد : أما نحن فنكذب على الناس والأمر سهل ، ونخاف أن يكون كلامكم هذا كذبا على الله) أهـ .

قلت : هذا القول دندن عليه ، مع العلم أن قول السيد الوزير بهذا السياق لايخلو من الصحة مطلقا ، فمن يكذب على الناس ليس كمن يفتري الكذب على الله تبارك وتعالى والكذب في بعض المواضع جائز عند كثير من الفقهاء ، كالكذب في إصلاح ذات البين والكذب في شئون الحرب مع العدو . والمسألة مبسوطة بشروحها عند الفقهاء خصوصا ان إصلاح ذات البين وشئون الحرب مما يندرج ضمن مهام السيد الوزير فهو يقوم بالإصلاح بين القبائل والسلطة وعقد الاتفاقيات والصلح ، ويصدر قرار السلم والحرب وهذا قد يجبره على الكذب عند الضرورة في شئون الحرب ومخادعة بعض الخارجين على القانون والشرع من المفسدين في الأرض العابثين

بأموال المسلمين ومن يمارسون اللصوصية وقطع طريق المسلمين . أما من يفتري على الله الكذب ويستدل على العوام بأقوال من قوله تعالى ويستغل جهل بعض العوام بذلك فهذا ممن يفترون على الله الكذب فحاله ليس حال من ذكرنا .

قيل لبعض الدعاة ممن لاقدرة على الخطابة في بادئ أمرهم، ثم ترسخت قدراتهم فيها فأصبح من الدعاة المفوّهين الذين تجتذب خطبهم ومواعظهم الأسماع فأجاد في شقشقة الخطب والمواعظ ، قيل له : كيف بلغت هذا المبلغ وقد كنت لاتستطيع أن تتحدث بعبارة واحدة على الملأ فقال : كنت أجلس مع العوام الذين لايعلمون من هذا الأمر شيئا ، فأستدِل عليهم بآية قرآنية من سورة وأكملها من أخرى وآتيهم بطرف حديث وأكمل شطره من آخر أو بقول من عندي .

مثل هذا الجرئ على الله ورسوله ممن يستغلون جهل العوام أو وجاهتهم وعدم قدرة أتباعهم على معارضتهم ومناقشتهم فيما يقولون لاشك أنه ممن يفترون على الله وعلى رسوله الكذب وهذا تفصيل لما اشكل عليه إن استشكله وتعريفا له بشواهده إن جهله .

مع تأكيدنا على أن لاعصمة للسيد الوزير ولا ننزله في منازلها ، وليس ممتنع عقلا أو عرفا أن يكذب ، فمن لا عصمة له جاز صدور الخطأ منه إلا ان جواز صدور الخطأ لايعني وقوعه فالوقوع يحتاج الى الدليل ، ، وبما أن الحديث عن الكذب متصل ببعضه فهذا ممن مارس الكذب صراحة هنا خصوصا عندما زعم (كاذبا) عن نزع الثقة عن السيد الوزير ، فمتى نزعت عنه وقد مات وهو على رأس وزارته واستوزر ولده من بعده ؟

مع العلم أن ما نقله العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله لم نقف عليه في شئ من كتب القوم ولا تراجمهم أو سيرتهم حتى يعضد قول العلامة بن عبيدالله ، وهذا قول تفرّد فيه خصوصا أن العلاقة بين السيد الوزير والعلامة السيد أحمد بن حسن العطاس رحمه الله تعالى علاقة حسنة وتربطهما صلة نسب ومصاهرة ، فإحدى زوجات العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس رحمه الله تعالى عمة السيد الوزير وهي بنت السيد محمد بن أحمد بن محمد المحضار ، وإن لم يضع السيد الوزير اعتبارا له كأحد علماء العلويين الكبار ودعاتهم المرموقين الذين يتمتعون بحب واحترام العلويين وغيرهم على الأقل سيضع اعتبارا لهذه القرابة والمصاهرة .

والمعلوم أن السيد الوزير يجل العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس اجلالا منقطع النظير بل ممن يحسنون الظن فيه ، وكذلك السيد أحمد بن حسن العطاس فإنّه يجل السيد الوزير ويحبه حبا جما واليك مايقوله كل منهما في الآخر :

قام السيد الوزير بزيارة إلى القويرة وصادف وجود العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس بها وجمع من القبائل في استقبال السيد الوزير وتزمّلوا فقال السيد الوزير موجها قوله للعلامة السيد أحمد بن حسن العطاس مانصه :

يابن حسن سلّم على الشيبان ** وأطلب لنا منهم بشارة
والعفو فيها صـــار والغفـــران ** وانتم معي قدكم سيارة

وقال السيد الوزير في إحدى زياراته إلى حريضة :

منّي سلام الفين ياأحمد بن حسن ** سلطاننا ياذي لك المنّة عليّ
حسين بن حامد وصل لا عندكم ** بازوركم ياسادتي ميّت وحيّ

هذه أقوال السيد الوزير تنبئ عن مزيد الإحترام والتوقير الذي يكنّه للسيد العلامة أحمد بن حسن العطاس رحمهما الله تعالى ، وهل من كانت هذه أقواله وهذه مشاعره النبيلة يمكن أن يصف من يجلّه ويحترمه بل يعتقد صلاحه وتقاه من الكاذبين على الله تعالى ؟

ثم ننظر في قول السيد العلامة أحمد بن حسن العطاس رحمه الله تعالى عن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى : في مكاتبة من مكاتبات السيد مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار قال مانصه : (وكم للولد حسين من أيادي على حضرموت كلها ساحلها وداخلها فقد كان يحب البلاد ويريد لها الخير ويدل على هذا قوله :

مادام عاد الروح يجري في الجسد ** ما بانقصّر في صلاح المسلمين
والله يشهـد والخـلائق باتُشـــهد ** والوعد من حيث السرائر باتبين

ثم قال السيد مصطفى بن أحمد المحضار مستطردا : وقد سمعت الوالد أحمد بن حسن العطاس قال : إن هذا يدل على نيّة صادقة ، وحسين يشهد ربه ويقطع وعد مع خلقه إلى حيث تبان السرائر ولا يقول هذا إلاّ واثق من إخلاص عمله .... الخ) أهـ .

واستطرد في نفس مشاركته قائلا :

(حتى يرى أن الدولة والتسلط على الناس هي الجنة الموعودة ، وقد صرح بذلك في احد زواملة حين قال :

الديــولة يامن بغاها ** يلـقي لها حنّه ورنّـه
والفايدة لي من قفاها ** يانار حارة يابارد وجنّه

مع ملاحظة اضطراب الشطر الأخير) انتهى قوله

قلت : لاحظوا كيف كتب الشطر الأخير مكسورا واكتفى بذكر الملاحظة والالفات اليه في الوقت الذي يتوجّب على الباحث الحاذق أن يستفرغ الوسع في بحثه وتقصّيه خصوصا في أمر متيسّر كهذا ، فلماذا لم يلجأ إلى أهل المعرفة بأشعار السيد الوزير أو من له دراية بشئ عن مساجلاته ؟ عموما الأبيات الصحيحة كالتالي :

الديــولة يامن بغاها ** يلـقي لها حنّه ورنّـه
والفايدة لي من قفاها ** يانـار ياروضة وجنّه

أما قوله عن السيد الوزير : (حتى يرى ان الدولة والتسلّط على الناس هي الجنة الموعودة وقد صرح بذلك في أحد زواملة) ، فما قاله في هذا الزامل الذي استدل به لايدل إلاّ على اقرار السيد الوزير بأن الفائدة من الديولة (أمّا نار أو روضة وجنّة) .

فلماذا كل هذا العسف للأقوال ولوي النصوص ليّا بالهوى ؟ عندما زعم بأن الدولة والسلطة على الناس هي الجنة الموعودة عند السيد الوزير رحمه الله تعالى ، ولو لم يذكر السيد الوزير النار في هذا البيت واكتفى بذكر الجنة لساغ لهذا المتحكّم أن يقول ماقال ، وبما أن السيد الوزير يقرر في قوله الفائدة التي من الديوله فيحصرها في أمرين ذكرهما : (أما نار أو جنة) ، فقد فضح هذا الحرد والتحامل .

ثم استطرد في نفس المشاركة قائلا :

(تميزت إدارة سلطة توزير السيد حسين بن حامد المحضار للدولة القعيطية أن السيد حسين كان يحب التسلط واستغلال النفوذ ، وادارة سلطنة وليدة بعقلية القبيلي المتخلف ، ربما كان يلجأ الى الزوامل والقصائد في عرض عضلات وقوة لهيبة سلطنة ضعيفة في الأساس ، كانت تحتمي بمعاهدة الحماية البريطانية التي اعطتها صفة الاستمرار والحكم ، لهذا لاغرابة حين نستشف في معظم قصائد ومساجلات وزاوامل الوزير حسين بن حامد تلك الروح المريضة التي لا تدل على رجاحة عقل أو تفكير رجل دولة ثاقب بصير ، نستقرأ من زواملة واشعاره وهي الأثر الوحيد التي

تركه من بعده انه شخصية استفزازية تستغل اي نصر ولو كان سقوط كوت قبلي صغير بأن نصر حققه عسكر السلطان وعبيده نصر قبلي ويتزمل من اجل التشفي والاستعلاء على الخصم الآخر)

قلت : قوله عن السيد الوزير حسين بن حامد بأنه يحب التسلّط واستغلال النفوذ مجرّد استنتاج لايقوم على دليل ، إذ لم ينقل لنا نصّا صريحا يمكنه أن يتكئ عليه وانما استنتاجا خاويا تخمّر في ذهنه ، ويكفي السيد الوزير شهادة كبار مؤرخي حضرموت لاتخرّص مثل هذا .

وبما أنه قد ألزم نفسه بالاحتجاج بقول العلامة ابن عبيدالله حيث قال في مشاركة متقدّمة : (والرجوع الى ماكتبوه مفيد للقارئ الذي يبحث عن الحقيقة في مضانها والأحداث في مصادرها خاصة من الذين عاصروا تلك الأحداث وكانوا حضورا لتاريخ سجله مؤرخ وعالم كبير _ حتى قال _ ألا وهو بن عبيدالله) أهـ . هانحن نحتج عليه من أقوال ابن عبيدالله نفسه وسيكشف لنا ابن عبيدالله بأن السيد الوزير لم يكن من المتسلطين حيث قال في بيت من قصيدته التي رثاه فيها مانصه :

مليح المحيّا واسع العفو كلما ** جفونا رأينا فيه أشفق والدِ

فهاهو العلامة ابن عبيدالله رحمه الله تعالى الذي يحتج بأقواله يصف السيد الوزير بأنه واسع العفو رغم جفاهم تجاهه فيكون بسعة عفوه وحلمه أشفق من الوالد على ولده ، ومن كان حلمه وعفوه واسعا لايمكن بحال من الأحوال من المتسلطين .

أمّا قوله : (وادارة سلطنة وليدة بعقلية القبيلي المتخلّف) أهـ ، فلايدل إلاّ على تحامل فاضح وحتى نكشف تحامله نلزمه بما ألزم به نفسه ، أليس هو من يحتج بأقوال العلامة بن عبيدالله رحمه الله وقال عنه بأنه هو خير من يعرف السيد الوزير ؟ فلينظر ماذا يقول العلامة بن عبيدالله عن عقلية السيد الوزير وحكمته ، قال العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى مانصه :

أهلا وسهلا بمن وافا وموضعه ** منّي وأن لمت فوق الرأس والمقلِ

ابن المحاضير من طابت شمائله ** ولم يحل قط عن ودّي ولم يحلِ

مهذّب النفس ذوالوجه الوسيم الى ** القلب السليم من الأدناس والدخَلِ

وصفي له وهو أدهى الناس يجعلني ** دريئة للخطأ والسعي والخطلِ

أدركت بالجد والتشمير ماعجزَت ** عنه الملوك بجلب الخيل والإبلِ

ملكت قسرا قلوب الناس قاطبة ** بخفة الروح والأخلاق والحيلِ

وبالكلام والعقل الرجيح مع الـ ** بيض الصوارم والعسالة الذبلِ

لا ورد إلاّ وقد أحكمت مصدره ** لله درك من ياحضار من رجلِ

قلت : هذه شهادة العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى وهو من عاصر السيد الوزير وعرفه عن كثب والذي يحتج هو بأقواله وفي هذه الأبيات التي قالها تثبت العقل الرجيح للسيد الوزير لا عقلية القبيلي المتخلّف كما يزعم هذا .

أمّا قوله عن السيد الوزير : (ربما كان يلجأ الى الزوامل والقصائد في عرض عضلات وقوة لهيبة سلطنة ضعيفة في الأساس ، كانت تحتمي بمعاهدة الحماية البريطانية التي اعطتها صفة الاستمرار والحكم) أهـ

قلت : لاشك أن وسائل وأدوات الإعلام في عصر ما تختلف بالضرورة عن أدوات ووسائل الإعلام في عصر آخر ، فبالأمس كانت الزوامل وقصائد الشعراء أداة من الأدوات الفاعلة في الإعلام السياسي ، واليوم هناك الفضائيات والفيس بوك والتويتر والمدونات والمواقع الألكترونية فضلا عن الصحافة المكتوبة والمسموعة ورغم ذلك لازالت الدول والممالك الى اليوم تستخدم الشعر والشعراء في الحرب والسلم ومناسباتها وأعيادها الوطنية .

أمّا قوله : (في عرض عضلات وقوة لهيبة سلطنة ضعيفة في الأساس) أهـ ، فهذا مما يدل على تحامله وتغيّضه ، فهذه السلطنة التي يصفها بالضعيفة استطاعت بفضل سياسة وحنكة هذا السيد الوزير رحمه الله تعالى أن تبسط نفوذها على مساحة كبيرة من حضرموت ، واستطاعت أن تفرض إرادتها على السلطنات الأخرى _ وهذا مايثير حنقه وتغيّضه _ وجعلت بعض سلاطينها يقفون عاجزين لا حول لهم ولا قوة أمام سياستها وقوّتها وحنكة وزيرها .

أما قوله عن معاهدة الحماية البريطانية فلا ضير في ذلك وهذا شأن الدول والممالك الى اليوم ، فالكثير من الدول والممالك في هذا العصر توقّع فيما بينها اتفاقيات حماية ودفاع مشترك وتأسيس التحالفات وعقد الاتفاقيات الأمنية وغيرها وهكذا هي السياسة قديما وحديثا .

أما قوله عن السيد الوزير : (لهذا لاغرابة حين نستشف في معظم قصائد ومساجلات وزاوامل الوزير حسين بن حامد تلك الروح المريضة التي لا تدل على رجاحة عقل أو تفكير رجل دولة ثاقب بصير) أهـ .

قلت : قد قدّمنا شهادة العلامة والمؤرخ ابن عبيدالله رحمه الله تعالى وقوله عن رجاحة عقل السيد الوزير ، ووصفه له برجاحة العقل ومكارم الأخلاق وبالحلم والقلب السليم ، والسيد الوزير لايضيره فحيح الافاعي ولا نقيق البوم . إلاّ أننا نستشف مما كتبه أسباب هذا التحامل ومنها أن السيد الوزير استطاع أن يفرض إرادته وإرادة سلطنته بحكمة مشهود له بها على بعض السلطنات الضعيفة ، وهذا مما أقرّ به بنفسه وكتبه بيده عندما كتب مانصه :

(ويروى انه عزم سلاطين آل عبدالله لزيارة شبام وسار السيد حسين بن حامد المحضار في لقائهم الى خارج البلاد وفي آخر الزامل تحت الحصن قال السيد حسين بن حامد :

الحصن هذا حق غالب بن عوض ** لي خصّه الرحمن من بين الملوك

بيده مفـاتيح الخزائن والفـرض ** ويافع الثقـلين عنده والملـوك

قلت : هاهو ينقل بنفسه ويكتب بيده أدلّة ضعف سلاطين آل عبدالله أمام السيد الوزير وحتى نكون من المنصفين في قراءة هذا الموقف تحديدا نقول : لو كان أولئك السلاطين من الأقوياء لما استطاع كائن من كان أن يتفوّه بهذا القول أمامهم ؟ وطالما أنهم بهذا المستوى من الضعف فمن باب الأولى أن يقول لهم السيد الوزير هذا القول فهذه سياسة لا تعترف إلاّ بالأقوياء .

وبما أن هذا لايحسن قراءة التاريخ كما يقرأه الباحث المنصف ولاينظر إليه نظرة صادقة ونزيهة ، كانت قراءته له بعين التعصّب والعنصرية بعد أن تغلغلت مفاهيم (الشعوبية) ودمّرت مفاهيمه فأراد أن يقدح في السلطنة القعيطية ووزيرها ويرفع من شأن سلطنة بعينها ، مع أننا نرى أن هذه السلطنات _ القعيطية أو الكثيرية أو غيرها _ تعتبر جزء لايتجزأ من تاريخ حضرموت السياسي وكان من الواجب أن يُقرأ تاريخ هذه السلطنات بإحترام وتتم مناقشته وبحثه بإنصاف وتجرّد كونها قد أصبحت من ضمن الموروث السياسي لحضرموت أولا ، ولإثراء هذه البحوث بمنهجية ومصداقية حتى يستفيد منها كل من أراد أن يعرف عن تاريخ هذه السلطنات ثانيا .

ولكن المرضى الذين هيمنت عليهم العُقَد لاتقوم قراءتهم للتاريخ إلاّ من خلال نوازع شريرة إنتقامية تغلغلت في نفوسهم فيقلبون الحقائق وينظرون الى المفاصل التاريخية نظرة قاصرة ومريضة . فمن يقرأ ما كتبه هذا من أول حرف حتى آخر حرف يستشف منه أنه أراد أن ينال من السيد الوزير رحمه الله تعالى وسلطنته ، الذي سجل التاريخ السياسي الحضرمي له ولها أروع مواقف الحكمة والبطولة والشرف وظن _متوهما _ انه سيحط من قدره وينال من تاريخه ومن أعلى الله شأنه فلا واضع له .

ثم استطرد في نفس المشاركة قائلا :

(عاش السيد حسين بن حامد المحضار تحت وطأة وايحاء شعور ووهم ظل ينتابه منذ صباه ، سيطر على وجدانه وعاش تحت وطأت حلمه ، ذلك من واقع الايمان بمقولة سمعها من جده منذ أن كان صغيرا يقول : (أخبرني جدي مرة من المرات قال : ياحسين حلاتك ثلاث ، أولها شيطان وأوسطها سلطان ، وآخرها برهان) غير أن التاريخ الشخصي ومن عرفوا السيد حسين بن حامد المحضار يؤكدون أن المرحلة الثالثة من حياته لم يبلغها البرهان ليست تلك النبؤوة المزعومة التى تنبأها له جده هي وحدها التي حركته في شهوة السعي للحكم ، إن نزوع الى حب السلطة والتقرب لها نزعة سيطرت على وجدانه وامنية من امانيه فقد قال ابن عبيدالله : (أخبرني غير واحد أنه اجتمع حسين بن حامد ، وعمر بن أحمد باصره ، واحمد بن عامر بابك ، فتنمى الأول حكم الشحر والمكلا ، وتمنى الثاني حكم وادي ليمن وليسر ، وتمنى الثالث أن يكون بريدا بينهما فحصل لكل ما تمناه) أهـ

قلت : قوله : (غير ان التاريخ الشخصي ومن عرفوا السيد حسين بن حامد المحضار يؤكدون أن المرحلة الثالثة من حياته لم يبلغها) أهـ ، نقول : من هم أولئك الذين عرفوا السيد الوزير وأكدّوا أنه لم يبلغ هذه المرحلة البرهانية ؟ هل ذكر لنا أسماء محددة ؟ وهل نقل لنا أقوالهم التي تدل على عدم بلوغه هذه المرحلة ؟

على ان بلوغ السيد الوزير لمرحلة البرهان أو عدمه تعتبر أمرا شخصيا يخص السيد الوزير ولاعلاقة لبلوغه هذه المرحلة بالتاريخ السياسي الحضرمي ولا بالسلطنة القعيطية أو غيرها ولا يترتّب على ذلك شيئا هاما في التاريخ السياسي الحضرمي ، فالحديث عن بلوغه وعدمه يعتبر ضرب من العبث والحشو الذي لا لزوم له .

أما ايمان السيد الوزير بنبوّة جده له واتخاذها هدفا يسعى إلى تحقيقه فأمر مشروع ومن حق كل انسان أن يرفع سقف طموحه وأمانيه ، كما ان تمنّي الثلاثة ممن ذكرهم وبلوغ كل منهم أمنيته حق مشروع لهم ومن حق أي أنسان أن يتمنّى ولايمتنع ذلك عقلا أو عرفا أو شرعا .

وكتب في نفس التاريخ المشاركة رقم (١٣) مانصه :

(قبل ان يكون الشاعر حسين بن حامد المحضار وزيرا للسلطنة ، كان يعيش حياة بؤس وشقاء في اسرة كبيرة لاتستطيع إعالة نفسها. ويروى أنه اجتمع في بيت جده السيد احمد بن محمد المحضار سبع نساء حبالى ، احداهن زوجة السيد حسين بن حامد على حين املاق وضنك في العيش وقلة في الرزق ، فأقبل ذات مرة السيد حسين بن حامد على جده فقال له جده يخاطبه :

حسين ربّك يسهّل كل ماهو صعِب ** حريم معنا حبالى سِت في الدار تِب

فأجابه السيد حسين بن حامد :

عسى لهن حال من رب السماء يستهِب ** وإلاّ إلى المقـبرة كل بغشـبه يهـب

قيل : فصحن النساء في وجه وقلن: فال الله ولا فالك !!.

تستقرأ من رد الشاعر حسين بن حامد على جده نظرته الاستعلائية على العنصر النسائي حتى ولو كن من أهل بيته . فلا عجب حين نقرأ قصائد ومساجلات الوزير الشاعر أن نجد هذه النظرة الاستعلائية على من يظفر به من خصومه وخصوم السلطنة التي استوزرته) أهـ

قلت : أولا كتب بيت الرد للسيد الوزير رحمه الله تعالى بشكل خاطئ ولم يلحظ الكسر الذي في البيت والصحيح (وإلاّ الى المقبرة كلّن بشغبه يهب) ، إلاّ أن هذه الأبيات لاتوحي مطلقا ولا تحمل ما يدل ان أسرة آل محضار لاتستطيع اعالة نفسها ، ولا تنبئ هذه الأبيات أنها تعيش في ضنك وإملاق وقلّة الرزق ، إلاّ أن سوء قراءة النصوص الشعرية إن صاحبت هوى وتحامل تمكّن ممن أبتلي به لايجعله يقرأ النص كما يجب ، فيحاول استنطاق النصوص بما يخدم نوازعه .

فقول الحبيب أحمد بن محمد المحضار رحمه الله تعالى :

حسين ربّك يسهّل كل ماهو صعب ** حريم معنا حبالى ست في الدار تب

هذا القول يدل على أن الحبيب أحمد المحضار رحمه الله تعالى يرجو من الله لتلك النساء الحبالى التسهيل في أمر ولادتهن وأن لاتكون ولادات متعسّرة ومن يعلم ظروف تلك الفترة يعلم أن

أن الكثير من النساء يمتن أثناء حالات الولادة نظرا لتردّي الظروف الصحية في تلك الفترة وعدم وجود المستشفيات وسوء الحالة الصحية للمجتمع برمّته هذا ما ينص عليه البيت الشعري ويؤكد ذلك جواب السيد الوزير لجدّه :

عسى لهن حال من رب السماء يستهب ** والاّ الى المقبرة كلن بشغبه يهب

قوله : (عسى لهن حال) تخصيص للنساء الحبالى دون غيرهن ، ولو كانت الأسرة تعيش ضيقا وقلة في الرزق كما يدّعي هذا ، لقال : (عسى لنا حال) فتدخل الأسرة كلها في هذا القول فدلّ ذلك على أن المقصود في هذه المساجلة بين الحفيد وجدّه هو تسهيل مسألة ولادة تلك النسوة وهذا مايصرّح به النص بكل وضوح .

إلاّ أن تحامله وتشفّيه جعله لايحسن قراءة النص الشعري والأدهى أنه أقام دعواه الجوفاء متهما السيد الوزير بالنظرة الاستعلائية على النساء ، في الوقت الذي كان جواب السيد الوزير لاينم عن نظرته الإستعلائية كما نرى . وانما المقصود هو تسهيل ودلالتهن خشية عليهن من الموت ، وان لم يتسهّل ذلك فإن مصيرهن الموت فلذلك قال : (والاّ الى المقبرة كلن بشغبه يهب) وهذا طبعا جواب صدر البيت في قوله : (عسى لهن حال من رب السماء يستهب) وقد قدّم السيد الوزير قوله

بلفظ : (عسى) بصيغة الرجاء ، ثم ان الإمام أحمد بن محمد المحضار رحمه الله تعالى ، أراد العيش في القويرة واختار الإعتزال عن الناس في تلك القارة ، وكان بوسعه أن يعيش في أكبر مدن وادي دوعن وسيجدهم يحيطونه ويغمرونه بالحب ولكنه رأى ان الاعتزال في زمنه وعدم مخالطة الأغيار أسلم لدينه وهذا يتضّح من قوله في قصيدة رثاء بوفاة شيخه الحبيب الإمام هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس رحمه الله تعالى قال في بعض أبياتها عن نفسه :

والله ناصر ياحمد خذ قصيدة في عجل * من صنوَك المحضار في قارة عن الناس اعتزل

من يوم شاف الكون في تغيير والمسكين ذل * طنّف على عقله وبعض الناس قالوا به خبل

والقصيدة بأكملها أوردها العلامة علي بن حسين العطاس رحمه الله تعالى في كتابه المسمى (تاج الأعراس) فهذا الإمام اعتزل في القويرة ومن دلائل زهده واقباله على الدار الآخرة أن حفر قبره في حياته وكان ينزل فيه ويقرأ القرآن الكريم[1] وقد ذكرت ترجماته بأنه قد ختم آلاف الختمات في قبره وقيل أنه في أيام المواسم يملأ قبره بحب الذرة ثم يتصدّق به على المحتاجين .

---

(١) ممن قرأوا القرآن في قبورهم أثناء حياتهم أبوبكر بن الزهراء ، كان يقرأ القرآن في قبره وينام فيه كما في : (وفيات الأعيان : ابن خلكان ١/ ٥٤) ، وممن قرأوا القرآن في قبورهم أثناء حياتهم : نعيم التميمي كما في : (معرفة الرجال : يحيى بن معين برواية ابن محرز ٢/ ٥٥) أهـ .

وعلى افتراض صحة قوله ان السيد الوزير نشأ في أسرة فقيرة فماهو العيب في ذلك والفقر هو سمة ودثار الزهاد الصالحين وشعار الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم وقد عاشوا حالات الفقر وكانوا يمكثون أوقاتا طويلة لايجدون ما يسد رمقهم فمازادهم ذلك إلاّ نبلا ورفعة وكرامة وشرفا وفضلا ، والإمام أحمد بن محمد المحضار سلك مسلك الأتقياء الزهاد الصالحين ولم يدفعه فقره _ إن صح ذلك _ أن يقطع طريق المسلمين وينهب أموالهم ويزهق أرواحهم تحت تهديد السلاح كما صنع غيره !!!

كتب في يوم : ٩/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية في المشاركة رقم (١٥) مانصه :

(أما وأني اعتمدت على المؤرخ بن عبيدالله في تسليط الضوء على جوانب من شخصية الشاعر الوزير حسين بن حامد المحضار ، ذلك أن بن عبيدالله هو الوحيد من المؤرخين الذين عاصروا توزير حسين بن حامد وعلى معرفة ودراية تامة ودقيقة بأحوال وسلوكيات وطبائع الرجل وقد كان المؤرخ بن عبيدالله منصفا له من نفسه ، يقول السيد بن عبيدالله وهو يكشف لنا جانبا من جوانب شخصية الشاعر حسين بن حامد : ومن طبعه التكتم بمقاصده والمغالطة في أغراضه ويحب أن يستخدم الناس فيها من حيث لايعلمون ، فلم يخف ذلك على الاكياس ، ففاته بسببه كثير من الانتفاع والتوى عليه به ما يمكن تيسيره من مهام الامور) أهـ .

قلت : قوله بإعتماده على أقوال المؤرخ بن عبيدالله في تسليط الضوء على جوانب من شخصية السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله تعالى وأنه على دراية تامة بأحوال السيد الوزير وسلوكيات وطبائعه ، قول لايحمل الكثير من الدّقة والضبط .

والصحيح ان العلامة عبيدالرحمن بن عبيدالله ، لم يكن الشخص أو المؤرخ الوحيد الذي عاصر الوزير حسين بن حامد المحضار ، فهناك من المؤرخين العلويين صالح بن علي الحامد وهناك السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد ، ، ولم يكن العلامة بن عبيدالله السقاف على اتصال دائم مع السيد الوزير ، والفترة التي كانت له لقاءات كثيرة به هي أثناء قيام السيد الوزير بعقد الصلح ، ثم ان العلامة ابن عبيدالله لم يكن كثير الذهاب الى القويرة أو المكلا لبعد المسافات وصعوبة التنقّل وقتئذ ، وكان ذهابه اليها في أوقات نادرة ، فلذلك نجد أن ترجمة السيد الوزير في تابوته حملت أخبارا عنه في معظمها استنتاجات لإبن عبيدالله نفسه أو ممن تلقّفها من هنا وهناك فلذلك تجده ينقل أخبارا عن السيد الوزير لازمام لها ولاخطام .

ورغم كل مايقوله فقد نقلنا اليه أخبارا من أقوال العلامة بن عبيدالله نفسه تنقض ما استدل به وتعارضها ، وهذا يدل على سقوط الاحتجاج بقول ابن عبيدالله السقاف في السيد الوزير سوى ذمّا أو مدحا ، فإن الراويات اذا تعارضت أسقطت بعضها بعضا ولايعتد بها في منهج الاستدلال نفيا أو اثباتا ، مع العلم ان العلامة بن عبيدالله تهافت في بعض أقواله واضطرب فيها فظهر بمظهر المتناقض وهذا ما سنكشفه فيما يلي .

اما ما نقله من قول العلامة بن عبيدالله السقاف مانصه : (ومن طبعه التكتم بمقاصده والمغالطة في أغراضه ويحب أن يستخدم الناس فيها من حيث لايعلمون ، فلم يخف ذلك على الاكياس ، ففاته بسببه كثير من الانتفاع والتوى عليه به ما يمكن تيسيره من مهام الامور) أهـ .

جوابه : ماذا يريد العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى ؟ هل يريد من السيد الوزير أن يخبره بما ينوي فعله ومالا ينوي ؟ هل يريد منه أن يجعله مستشارا خاصا به ويخبره عن كل أمر يفكّر فيه ؟ هذا يكشف تهافت قول العلامة بن عبيدالله في هذا القول تحديدا ، ألا يعلم العلامة بن عبيدالله ان السيد الوزير كان يسيّر شئون أكبر كيان سياسي وقتئذ بحضرموت ؟ فقوله : كان من طبعه التكتّم بمقاصده والمغالطة في أغراضه يدلّ على ان العلامة بن عبيدالله نفسه لايفقه شيئا في أمور السياسة ، أو أنه يكتب كلاما متهافتا لاقيمة له فمن طبع السياسي أن يتكتّم في مقاصده وعدم اظهار نواياه لمن هب ودب ، وأن يدير شئون دولته بمزيد من التكتّم و الغموض والسريّة والمغالطة والضرورة السياسية تقتضي ذلك واذا لم يكن كذلك فلا يكون سياسيا ولا من أهل السياسة .

ربما كان العلامة ابن عبيدالله يريد من السيد الوزير أن يلجأ اليه في كل صغيرة وكبيرة ولم يظفر بذلك ، علما أن تكتّم السيد الوزير تحديدا مع العلامة بن عبيدالله السقاف له مايبرره ودواعيه بارزة وأسبابه ظاهرة ، مما كشفه ابن عبيدالله عن نفسه . فقد أخبر العلامة بن عبيدالله عن نفسه بأن له مكاتبات سرية مع الوالي العثماني بلحج ومع سلاطين آل كثير يتكتّم بها عن السيد الوزير ، وبما أن السيد الوزير يتمتّع بذكاء حاد ودهاء كبير اعترف به العلامة بن عبيدالله نفسه عندما قال في وصف السيد الوزير شعرا :

وصفي له وهو أدهى الناس يجعلني ** دريئة للخطأ والعي والخطلِ

وليس ببعيد أن يكون السيد الوزير بذكائه ودهائه وفطنته عَلِمَ أن العلامة ابن عبيدالله لايمكن الاعتماد عليه حتى يخبره بكل نواياه ، فلذلك كان يتكتّم ولايخبره بمقاصده فأظهر المغالطة له في أغراضه ، ولم يطلعه على شئ من مقاصده ولم يحطه علما بنواياه وأهدافه ، فتكتّم معه وعامله بمزيد من الغموض ، وبذلك فوّت الفرصة على العلامة ابن عبيدالله في معرفة نواياه وكشف خططه واهدافه له حتى لايخبر ابن عبيدالله بها أحدا ممن يكاتبهم مكاتبات سريّة أو يتصل بهم اتصالات خفيّة ، فربما كان هذا مثار استياء ابن عبيدالله وسخطه فلذلك قال عن السيد الوزير بأنه يتكتّم بمقاصده ويغالط في اغراضه ، وإلاّ فإبن عبيدالله يعلم ان الإستعانة بالتكتّم في بلوغ المقاصد وقضاء الحاجات لايعد منقصة في شأن المسلم العادي فما ظنك بمن يدير شئون دولة ويسيّر أمور أكبر سلطنة وقتئذ ؟

ثم ان العلامة ابن عبيدالله نفسه يقر بأنه كان يتكتّم بمقاصده فقد اعترف بأن له مكاتبات سرّية واتصالات خفية مع بعض السلاطين داخل القطر الحضرمي وخارجه كشف عنها في كتابه بضائع التابوت ، فلماذا ينكر على السيد الوزير تكتّمه في مقاصده ولا ينكر على نفسه تلك المكاتبات السرية والاتصالات الخفيّة مع اطراف شتى ؟

فإن كان العلامة ابن عبيدالله ساق هذا القول في معرض الذم والقدح في السيد الوزير فكيف ساغ له ذلك وهو آتيه خصوصا بعد ان اعترف بأنه كان يتكتّم في مقاصده ويغالط في

اغراضه وله مكاتبات سريّة واتصالات خفية بأطراف شتى ، إلاّ ان كان يرى ان تكتّم السيد الوزير في مقاصده مذمّة ومنقصة ، وتكتّمه في مقاصده ممدحة ومنقبة فهذا مما يدل على التهافت في قولٍ يستغرب صدوره من ابن عبيدالله .

وفي يوم : ١٠/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية كتب في المشاركة (١٦) مانصه :

(حين حج السلطان عوض كان بمعيته السيد حسين بن حامد المحضار ، قبل أن يكون وزيرا ، ويقول حسين بن حامد المحضار : أنه سمع السلطان عوض يقول في الملتزم : (اللهم اني أتوب اليك من كل شيء إلا من حجر وحضرموت فإنه لا بد لي منها) وإن كنت في شك في أن يقول عبد قطع المسافات الطويلة بنية خالصة للحج والتوبة والاستغفار مثل هذا القول وفي الملتزم لعلي اضع شكي وبحذر في أن مثل تلك العبارات التي ترفض التوبة في ذلك المقام هي من اختلاجات السيد حسين بن حامد المحضار ، افرغها باسم السلطان عوض القعيطي ، ليبرر ان الغايات لامجال للتوبة منها حتى حال الوقوف في الملتزم أو بين الحطيم وزمزم) أهـ

قلت : لماذا شك بأن هذا القول لم يكن من قول السلطان القعيطي ؟ هل صدور هذا القول من السلطان القعيطي ممتنع عقلا ؟ لاشك أن كل عاقل يدرك أنه لم يبن شكه في صدور هذا القول من السلطان القعيطي إلاّ على قاعدة اتهام السيد الوزير والنزوع الى تخطئته .

وحتى يتيسّر عليه اتهام السيد الوزير والقول بأن هذا من اختلاجات نفسه ، كان لابد له أن يحاول على أقل تقدير أن يقيم مبنى شكّه في صدور ذلك من السلطان القعيطي حتى يسهل عليه رمي التهمة على السيد الوزير ، وحتى ننسف قاعدته شكّه المهترئة ونظهر للقارئ الكريم تحامله وتهافت قوله سنضع تعليقه على بساط التمحيص والتحليل وسنرى النتيجة التي نخلص اليها .

كتب تعليقه بعد أن ساق قول السلطان القعيطي في الملتزم حيث قال معلقا :

(وإن كنت في شك في أن يقول عبد قطع المسافات الطويلة بنية خالصة للحج والتوبة والاستغفار مثل هذا القول وفي الملتزم لعلي اضع شكي وبحذر في أن مثل تلك العبارات التي ترفض التوبة في ذلك المقام .... الخ) أهـ .

قلت : لاحظوا قوله التالي : (وإن كنت في شك في أن يقول عبد قطع المسافات الطويلة بنية خالصة للحج والتوبة والاستغفار مثل هذا القول وفي الملتزم) أهـ ، هو يبني قوله على قاعدة الشك ، كونه يستبعد أن يقطع عبد من العباد المسافات الطويلة بنية خالصة للحج والتوبة والاستغفار ، فلذلك سنطرح السؤال التالي وبالإجابة عليه تهتز قاعدة الشك الواهية وتنهدم على رأس بانيها فالسؤال الذي يطرح نفسه هو :

كيف عرف ان السلطان القعيطي قطع المسافات الطويلة بنية خالصة ؟

المعلوم ان النيّة أمرا قلبيا وموضعها القلب ، فما هي الوسيلة والأداة التي من خلالها حكم بأن نيّة السلطان القعيطي كانت خالصة للحج والاستغفار ؟ فإن قال : يستحيل ان يقطع عبد هذه المسافات ويتجشّم عناء السفر ولايكون له نية خالصة !! قلنا : هناك من يقدّم روحه ويعرّض نفسه للقتل ليقال أن شهيد في سبيل الله ولا اخلاص في عمله لوجه الله تعالى فيكون مصيره الى النار كما في حديث أبي هريرة مما اخرجه مسلم في صحيحه ، فهل عناء السفر أشق على المرء من القتل ؟

من ذلك يتبيّن لنا أن هذا يقيم أقوالا على الفراغ فإذا ما وُضِع على بسط التحقيق والتمحيص سقط قوله وتهافت ، ومن تهافته في القول أن حكم بأن السلطان القعيطي قطع المسافات الطويلة للحج بنيّة خالصة لوجه الله تعالى ، وكأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إلاّ ان مادفعه ليقول هذا القول المتهافت ويزعم بأن السلطان القعيطي قطع المسافات الطويلة للحج بنية خالصة ، هو مسارعته في تخطئة السيد الوزير ونزوع نفسه إليه .

ثم استطرد قائلا :

(وإن كان السيد حسين المحضار صادقا في ماسمع ، فتأمل أخي القارئ كيف أن شهوة السلطة الجامحة ورغبة الحكم ، دفعت بهذا السلطان القعيطي أن يقول مثل ذلك الكلام وهو بلباس الاحرام في الملتزم ، حيث يتوب العبد ويستغفر عن ذنوبه) أهـ

قلت : لكل قضية حاملها ومحمولها ، واحتمال صدق السيد الوزير فيما سمعه من دعاء السلطان أمام البيت العتيق أو عدمه أمرا قائما لوجود الحامل ، وليس هذا ممتنع عقلا أو عرفا ، مع قيام احتمال توهّم السيد الوزير فربما سمع ذلك ولكن بعبارة أو بلفظ آخر فتوّهم فيه خصوصا ان القول قد قيل في مكان مزدحم بالحجاج هذه كلها احتمالات محمولة على حواملها .

إلاّ أن احتمال اختلاق السيد الوزير لهذا القول ونسبته الى السلطان مستبعد الحدوث لعدم وجود الحامل له ، فالسيد الوزير يعلم أنه ليس سلطانا على حضرموت وقتئذ خصوصا ان هذا القول قاله السلطان قبل ان يكون حسين بن حامد المحضار وزيرا للسلطنة ، وحتى بعد ان استوزاره ، فهو يعلم يقينا بأنه ليس سلطانا على حضرموت وانما هو وزير لهذه السلطنة وبالتالي فمن المنطقي إن تكون أطماع السلطان القعيطي في اخضاع حجر اكبر من اطماع السيد الوزير فيها إذ لايمكن لوزير أن يطمع في اخضاع منطقة ما ، دون ان تكون للسلطان نفسه اطماعا فيها إذ لو لم يكن للسلطان أطماعا فيها ولا رغبة له في ذلك لما أقدم السيد الوزير على شئ من هذا ، وعليه فإن صحة نسبة هذا القول للسلطان القعيطي أولى من نسبته للسيد الوزير وهذا يعلمه من يخضع المسألة للتحقيق والبحث بتجرّد وانصاف .

اما قوله : (دفعت بهذا السلطان القعيطي أن يقول مثل ذلك الكلام وهو بلباس الاحرام في الملتزم ، حيث يتوب العبد ويستغفر عن ذنوبه) أهـ

قوله هذا يدل على قصور شديد في معرفة التاريخ الاسلامي ، فماجرى للكعبة من هدم وحريق في فتنة ابن الزبير ، وما صنعه الحجاج بن يوسف الثقفي بالكعبة بعد ان رماها بالمنجنيق يكشف هذا القصور الشديد في معرفة التاريخ الاسلامي ، الم يقرأ أن طغام الشام رموا الكعبة بالمنجنيق وهم من المسلمين ؟ إلاّ ان كان ممن يؤمنون بفكر وعقائد الخوارج الذين يكفّرون المسلمين ، فهذا ليس ببعيد خصوصا أنه من الذابين عن الأباضية وممن يحلمون باعادة هيمنة الأباضية على حضرموت وإعادة كيانها السياسي البائد وهذا ما نستشّفه من بعض مؤلفاته عن اباضية عمان وحضرموت .

ثم استطرد قائلا في مشاركته رقم (١٦) مانصه :

(مضى السلطان عوض القعيطي قافلا من حجه يخضب اصابع يديه بدماء ابناء قبائل حضرموت ، تحت دريعة انشاء دولة قعيطية حضرمية ، والسعي من التمكن والتربع على كرسي سلطنة حضرمية الاسم يافعية الهوى) أهـ .

قلت : هنا يظهر جانب كبير من عنصرية الكاتب ويظهر ايمانه العميق بالشعوبية علما أن الشعوبية كحركة ظهرت في الخلافة العباسية وهي الحط من قدر العرب ، إلاّ انها أخذت في الاتساع في مفهومها ، فهو لايحبذ قيام سلطنة حضرمية بهوى يافعي ، ومن خلال ماسياتي سنكشف المزيد من ميول الكاتب التي يكشف من خلالها تفضيله لقيام كيان سياسي حضرمي بفكر أباضي .

ثم قال مستطردا مانصه :

(في عهد السلطان غالب بن عوض استولى السلطان غالب على وادي ميفع بحجة الشراء من أسرة آل بامزاحم ، وآل باحفيظ وآل بامعبد ، ولما علم آل عبدالواحد بذلك رفعوا دعوى على القعيطي عند حاكم عدن فطال أمد الدعوى واصر الانجليز أن يكون وادي ميفع من أملاك القعيطي . يقول بن عبيدالله : (وفي سنة ١٣١٥هـ بنى المصانع والحصون وساق العمال وحصنها بالعساكر ، وهي بالحقيقة أرض آل عبدالواحد ولكن القعيطي غلبهم عليها مع ضعفهم) انتهى كلام بن عبيدالله ، بدأت اطماع القعيطي في السيطرة على وادي حجر فساق عسكره نحوه ، فكانت عساكره تمنى بالهزائم ، وقال شاعر من حجر :

ياحجر ريضي وارقبي واستامني ** مادام أصحابش يديرون النقوش

الا ان بغيتي اليافعي من خاطرش ** أنا عليّ العقد وامسي له عروس

قلت : كتابته لفظ (النقوش) خطأ وقع فيه والصحيح (النقوس) والمراد به : البارود إلاّ أن السلطان لم يغلب السلطان على وادي ميفع بحجة الشراء ، فالشراء أمر والغلبة أمر آخر والصحيح هو أن السلطان اشترى ميفع شراءً صحيحا ، ثم غلب عليها بالإمارة وهذا ماذكره العلامة بن عبيدالله نفسه في كتابه ادام القوت تحقيق المقحفي واليك ماقال العلامة بن عبيدالله :

(وفي سنة ١٣١٤ هجرية استولى الجمعدار غالب بن عوض القعيطي على وادي ميفع أخذه بالشراء الصحيح من آل بامزاحم وآل باحفيظ وآل بامعبد ، ولما علم بذلك آل عبدالواحد رفعوا عليه دعوى في عدن وطال النزاع ولكنه انتهى بفوز القعيطي ، وفي سنة ١٣١٥ هـجرية ، بنى المصانع والحصون بميفع وساق الأكرة والعمال من المكلا وحصّنها بالعساكر وهي بالحقيقة أرض آل عبدالواحد ، ولكن القعيطي غلبهم عليها مع ضعفهم[1]) أهـ

قلت : وقد عقّب المحقق ابراهيم المحقفي في نفس الصفحة قائلا مانصه : (وقوله : غلبهم القعيطي لا يخالف ماقبله من قوله : أخذه بالشراء الصحيح ، لأن الشراء واقع على ملك اليد والغلبة واقعة على الأمارة) أهـ . وقوله : استولى بحجة الشراء يريد منه ابطال الشراء الصحيح لميفع والذي اثبته العلامة بن عبيدالله نفسه ، وقد اشترى السلطان القعيطي منطقة بالحاف ، وقد توهّم الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في ذلك عندما زعم بأن السيد الوزير حسين بن حامد المحضار ضم بالحاف للسلطنة القعيطية ، والصحيح أنه لم يضمها واليك ماذكره السيد حامد بن أبي بكر المحضار رحمه الله تعالى قال :

---

(١) ادام القوت : الصفحة / ٤٠

(ولقد نسب المؤرخ الأستاذ السيد محمد بن أحمد الشاطري الى وزير السلطنة القعيطية الأول السيد حسين المحضار أنه ضم حجر وبالحاف الى السلطنة القعيطية كما ضم ريدة بن عبدالودود والواقع ان سلطنة بالحاف لم تضم الى السلطنة القعيطية لأنها من المحميات البريطانية ولاسبيل للقعيطي الى ضمها والذي حصل هو أن اثنين من ابناء السلاطين الواحديين غضبا من السلطان المنصّب آنئذ واعتبراه ظالما لهما هاضما لحقهما فتوجها الى المكلا وذهبا الى السلطان غالب فعرضا عليه حصتهما في بالحاف بمبلغ ٦٠٠٠٠ ريال فقبل السلطان أن يشتري منهما فأرسل الى وزيره المحضار وأخبره بما تفاوض فيه مع أبناء السلاطين الواحديين[1] ... الخ) أهـ

ثم استطرد في قوله ونقل قول العلامة بن عبيدالله مانصه :

(قال السيد عبدالرحمن بن عبيدالله : فبقيت من هذه حزازة في نفس السيد حسين بن حامد المحضار ولم يستطيع ان ينفث بما يشفي صدره في جوابها الا ليلة دخولهم المكلا بعد ابرام المعاهدات فقال :

---

(١) الزعيم : الصفحة / ٦١ _ ٦٢

قـالوا لي اليـوم الشريفة وكّلت ** من بعـد ماغلبت وصاليها غلب

بيدي عوادي شاربين المسكرة ** حملوا على حوته وخلفوا في السلب

قلت : قد نقل هذا العلامة بن عبيدالله في ادامه ، والمعلوم ان ادام القوت هو مستخلص من كتابه (بضائع التابوت) أمّا قول العلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى : (فبقيت من هذه حزازة في نفس السيد حسين بن حامد المحضار ولم يستطيع ان ينفث بما يشفى صدره ..... الخ) أهـ . مجرّد استنتاج وتحليل لهذه الأبيات الشعرية ، إذ لم يخبر بأنه من قول السيد الوزير ولم يقل : (أخبرني السيد حسين بن حامد بأنها بقيت في نفسي حزازة) ، كما يصرّح أحيانا بالإخبار في سرد بعض الأخبار، فلذلك قلنا أنه مجرّد استنتاجه وقراءته الخاصة لهذه الأبيات وليس بالضرورة أن تكون تلك القراءة صحيحة ، فإن كان العلامة بن عبيدالله كشف عما في نفس السيد الوزير وفقا لقراءته هذه الأبيات ، فهذه الأبيات تحتمل أكثر من وجه في تأويلها وليست قراءة بن عبيدالله دليلا على صحة مافي نفس السيد الوزير .

ثم استطرد يقول عن السيد الوزير مانصه :

(كما قد ذكرت لكم سابقا أن السيد حسين بن حامد المحضار يفتقد الى السياسة والمرونة والكياسة والدهاء ، فهو وزير مستوزر ينفذ غايات دنيئة بوسائل غير شريفة ، واشعاره وزواملة تعبر عن سيكلوجيته في نزعة التشفي من الخصم في لحظات ضعف الخصم وتعطشه للقتل والتهديد فنقرأ ما قاله في اثناء تلك الحرب قال المحضار:

ياحجر بن دغّار ماشي معذره ** لو بانرادف في المقابر من ثنين

ان عاد شي تركوب والاّ تبصره ** وإلاّ مع الله بالمطابق والكبين

صورة من صور السادية عند هذا السيد تعبر عن نزعته وميله في الائخان في القتل . خاصة حين نستشرق اضاءة رائعة من شاعر نوّح حين قابل السيد حسين بن حامد المحضار بهذا الزامل فيه ردا كريما قال فيه:

حيّا وسهلا بالوجيه الزاهره ** بالسيّد المحضار بن حامد حسين

انتوا وصلتوا والبشاره ظاهـره ** والزين يخـرج منه إلاّ كل زين

حتى قيل أن السيد حسين المحضار قال : اخجلني بهذا اللطف) انتهى .

قلت : قوله عن السيد الوزير بأنه يفتقد الى السياسة والمرونة والكياسة والدهاء ، قد نقضناه عليه وألجمناه فيما تقدّم وأظهرنا تناقضه فيه واضطرابه ، فقد اعترف وكتب بيده في المشاركة رقم (١) مايثبت اقراره بأن دور السيد حسين بن حامد كان دور رجل السياسية لا دور المصلح الديني حيث قال وكتب بيده في المشاركة رقم (١) مانصه : (كان دور السيد حسين بن حامد المحضار دور رجل السياسة أكثر منه أن يكون دور المصلح الديني أو رجل الدين الاصلاحي) أهـ

ثم نكص ليهدم كل مبناه فيقول : (كما قد ذكرت لكم سابقا أن السيد حسين بن حامد المحضار يفتقد الى السياسة والمرونة والكياسة والدهاء) أهـ . فأظهر تناقضا معيبا في قوله وهدم كل ما بناه من قول . أما بالنسبة للدهاء الذين ينكره فقد رددنا عليه قوله ونقضناه عليه بقول من يحتج بأقواله ، فهو يعتبر قول ابن عبيدالله حجة كونه يعرف السيد الوزير وقد قدّمنا قول العلامة بن عبيدالله في وصف السيد الوزير حيث قال شعرا :

وصفي له وهو أدهى الناس يجعلني ** دريئة للخطأ والعي والخطل

وطالما ان ابن عبيدالله يقر بأن السيد الوزير من أدهى الناس ، فلا اعتبار لهذا الهذيان خصوصا انه يحتج بقوله ويرى ضرورة الركون إليه ، فهاهو العلامة بن عبيدالله يصف السيد الوزير بالدهاء وكفى . أما قوله عن السيد الوزير مانصه : (فنقرأ ما قاله في اثناء تلك الحرب قال المحضار :

ياحجر بن دغّار ماشي معذره ** لو بانرادف في المقابر من ثنين

ان عاد شي تركوب والاّ تبصره ** وإلاّ مع الله بالمطابق والكبين

صورة من صور السادية عند هذا السيد تعبر عن نزعته وميله في الاثخان في القتل . خاصة حين نستشرق اضاءة رائعة من شاعر نوّح حين قابل السيد حسين بن حامد المحضار بهذا الزامل فيه ردا كريما قال فيه:

حيّا وسهلا بالوجيه الزاهره ** بالسيّد المحضار بن حامد حسين

انتوا وصلتوا والبشاره ظاهـره ** والزين يخـرج منه إلاّ كل زين

حتى قيل أن السيد حسين المحضار قال : اخجلني بهذا اللطف) انتهى .

قلت : قوله (فنقرأ ما قاله في اثناء تلك الحرب) يدل على ضعف استقرائه ، فهو يزعم بأن الأبيات قالها السيد الوزير أثناء الحرب والصحيح ليس كما قال : فقد كشف العلامة بن عبيدالله نفسه عن الوقت الذي قيلت فيه هذه الأبيات ، وانها قيلت في (وقت الهدنة) لا وقت الحرب . وكان عليه أن يقول : (فنقرأ ماقاله في هدنة وقعت بينهما أثناء الحرب) فإن قوله : (أثناء الحرب) ينفي وقوع الهدنة وبذلك لايكون على دقّة في وصف الحدث كما وصفه العلامة بن عبيدالله .

قال العلامة بن عبيدالله في ادام القوت[1] : (وأخبرني السيد حسين بن حامد أنه قال في أحد مراجزه لهم في هدنة ذات الأيام :

ياحجر بن دغّار ماشي معذره ** لو بانرادف في المقابر من ثنين

ان عاد شي تركوب والاّ تبصره ** وإلاّ مع الله بالمطابق والكبين

فأجابه أحدهم لا عن ذل ولكن خضع الجناح شيئا لما جُبلوا عليه من كرم الضيافة فساق ابن عبيدالله رد الشاعر :

حيّا وسهلا بالوجيه الزاهره ** بالسيّد المحضار بن حامد حسين

انتوا وصلتوا والبشاره ظاهـره ** والزين يخـرج منه إلاّ كل زين

قلت : من هذا يتبيّن بالدليل من قول ابن عبيدالله ان قول السيد الوزير لم يكن أثناء الحرب كما صرّح به هذا ، وانما في (هدنة) وقعت بين الطرفين اثناء الحرب فدلّ ذلك على أنه يكتب بلا ضبط ولا دقّة فلذلك يقع في الكثير من الأخطاء التي تشوّه صورة الحدث للقارئ .

---

(١) ادام القوت : الصفحة / ٤٧

واستطرد ابن عبيدالله قائلا عن السيد الوزير ، قال : أي قال السيد الوزير : (فأخجلني بهذا اللطف لأني نزيلهم على ضيافتهم) أهـ ، وهذا القول بحاجة الى وقفة تحليل ومناقشة فنقول : هناك اشكالات لابد لها من تفسير ومنها ذكر العلامة بن عبيدالله قول السيد الوزير : (فأخجلني بهذا اللطف لأني نزيلهم على ضيافتهم) أهـ

قلت : كيف يكون السيد الوزير في ضيافة خصومه ؟ ثم كيف يكون في ضيافة خصومه في الوقت الذي اجتمعت لجنة الوساطة في منطقة (فوّه) والمعلوم ان فوّه من ضمن أراضي السلطنة القعيطية ، فكيف يكون السيد الوزير على أرض سلطته ثم يقول : (لأني نزيلهم على ضيافتهم) ؟ فهل من كان على أرض سلطته يكون ضيفا ؟ خصوصا أن هذا المتخفّي كتب في نفس مشاركته مانصه : (اجتمعت الوساطة ولجنة التحكيم في (فوه) واقبل السيد حسين بن حامد المحضار في عسكره يرتجزون بالزوامل .... الخ) أهـ .

وبما أنه يزعم أن هذه الأقوال قيلت في منطقة فوّه ، فكيف يكون السيد الوزير ضيفا وهو في أرض سلطته ؟ فهذه الإشكالات لابد من الإجابة عليها ، مع العلم أننا لم نقف في بضائع التابوت على شئ من هذا ، وعدم وقوفنا لاينفي وجوده إلاّ ان ماذكره العلامة بن عبيدالله في ادام القوت لانص فيه على تحديد المكان ، فربما كان للإختصار والايجاز كون الادام أصلا جزء من بضائع التابوت . فقد قال في ادام القوت : (فنجعوا لتحكيم السيد حسين بن أحمد العطاس صاحب عمد والسيد أحمد بن حسن العطاس صاحب حريضة ، وفي القعدة من سنة ١٣٢٨ هجرية توجّه السيدان وكان الأول محمولا على الأعناق لضعفه وكبر سنّه فحكما بأن جميع وادي

حجر ونواحيه[1] ..... الخ) أهـ ، فحدد بذلك الشهر والسنة وما حكما به ولم يحدد المكان مع أنه ذكر التوجّه ولم يذكر الجهة ، ثم استطرد في نفس المشاركة قائلا :

(واقبل السيد حسين بن حامد المحضار في عسكره يرتجزون بالزوامل فقال السيد حسين بن حامد :

حيّا وسهلا بالحبايب كلّهم ** مع القبايل لي تعنّوا للصلاح

أنتم وصلتم والكرامة حاصلة ** والعفو حاصل من قادنا والسماح

قال بن عبيدالله معلقا على بيت السيد حسين بن حامد : (اراد بالسماح اسقاط المعلقات من الدماء والأموال الآتية في الوثائق وهو سماح في ما لايملك فيه الوالد حسين السماح ولكن هذه عاداتهم في أمثال ذلك) ذلك يأتي ويبين لكم من خلال ملاحظة بن عبيدالله صاحب وجهة نظر شرعية صرفة من عالم دين وفقيه متمكن ، أن السيد حسين بن حامد المحضار يجهل وجهات نظر الشرع في مثل تلك المسائل ويحتكم الى العادات القبلية وهذا يدلل لنا أنه رجل حكم بعقلية القبيلة) اهـ

---

(١) ادام القوت : الصفحة / ٤٦

قلت : يكفي أن الكاتب قال مانصه : (قال بن عبيدالله معلقا على بيت السيد حسين بن حامد) أهـ ، فدل ذلك على ان قول العلامة بن عبيدالله مجرّد تعليق لا من إخبار السيد الوزير له بذلك ، وتعليق العلامة بن عبيدالله يقوم على قراءته الخاصة لهذه الأبيات ، فما الذي يجعله يقول بأن السيد الوزير أراد بهذا الابيات اسقاط المعلقات من الدماء وغير ذلك ؟

ثم على افتراض صحة ما استنتجه العلامة بن عبيدالله من هذه الأبيات ، فربما يكون السيد الوزير يقصد اسقاط الدماء الخاصة بعساكر السلطنة القعيطية والأموال التي صرفتها السلطنة على هذه الحرب ، وهذا من مناط مهامه (شرعا) بما أنه وزيرا مفوضا للسلطان القعيطي وقائم مقامه كما ذكرناه في نص الوثيقة التي بموجبها تم تكليف السيد الوزير والتي ذكرت مهامه وما انيطت به من واجبات ، فإذا وضعنا في الإعتبار هذا التأويل فما الذي سوّغ للعلامة بن عبيدالله أن يقول : (وهو سماح في ما لايملك فيه الوالد حسين السماح) أهـ ، ألا يعلم العلامة بن عبيدالله رحمه الله أن من كان وزيرا مفوضا يملك ذلك ؟

وعلى ذلك ينكشف جهل هذا الكاتب عندما قال : (ذلك يأتي ويبين لكم من خلال ملاحظة بن عبيدالله صاحب وجهة نظر شرعية صرفة من عالم دين وفقيه متمكن ، أن السيد حسين بن حامد المحضار يجهل وجهات نظر الشرع في مثل تلك المسائل ويحتكم الى العادات القبلية) أهـ

قلت : قوله بأن العلامة بن عبيدالله (صاحب وجهة نظر شرعية صرفة وعالم دين وفقيه متمكن) قول صحيح والعلامة بن عبيدالله لايشك في فقهه وعلمه ولكن ذلك لايعني انه أقام هذا

القول على قواعده الشرعية ، بل أقامه على محمل الاستنتاج وقراءة لأبيات شعرية ، أما القواعد الشرعية فتجوّز لولي الأمر إسقاط المعلقات من دماء عساكره والأموال التي صرفها على أي وجه والسيد الوزير هو ولي الأمر في هذا الحدث ويقوم مقامه بالتفويض الشرعي المسند إليه من ولي الأمر .

ثم كتب يوم : ١٠/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية في المشاركة رقم (١٨) مانصه :

(السيد الوزير الشاعر حسين بن حامد وفتنة الغرفة)

افتعلت فتنة بن عبدات افتعالا تلك الفتنة التي بدأت شرارتها حول قضية شراء بثرقطعة أرض زراعية ، كانت محل تنافس بين ابناء العمومة ، وتطورت الأحداث واستغلت الأوضاع فيما بعد ، واخذت بن عبدات أوهام البطولة وداعبت خياله الرغبة في الحكم على قرية صغيرة تسمى الغرفة ، فانصرفت إليه الدولتين القعيطية والكثيرية لتأديبه واخضاعه وعقدت معه هدنة بعد هدنة ولكنه كان يخرقها ، وحين تحصن وابى الاستسلام طلبت السلطنتين الكثيرية والقعيطية التدخل الجوي من البريطانيين ، فاستسلم بن عبدات ونفي ولكن هذا المتمرد الذي رفض الاحتكام للشرع

بواسطة بن عبيدالله ، كما اثبت لنا بن عبيدالله ذلك في تاريخه ، سمي صاحبه ثائر وسميت الفتنته ثورة ابن عبدات) أهـ .

قلت : هنا وفي هذه المشاركة بدأت تتكشف بوضوح أسباب حط كاتب هذا المقال من مقام السيد الوزير حسين بن حامد المحضار رحمه الله والسلطنة القعيطية ، ورفع مقام السلطنة الكثيرية والعلامة بن عبيدالله رحمه الله تعالى ، ومن خلال ثورة بن عبدات ينكشف لنا جزء كبير من الأقوال التي كتبها العلامة بن عبيدالله في بضائع التابوت وغيره بخصوص السيد الوزير المحضار وسلطنته ونقده لسلاطينها وتظهر أسباب نقده القائمة على تدخل السيد الوزير في هذه القضية لشعوره بتحجيم دوره فيها وبروز دور السيد الوزير المحضار في هذه القضية .

وبما أن قرية الغرفة في موقعها تعتبر في خاصرة (السلطنة الكثيرية) وان الثائر عمر عبيد بن عبدات يشكل تهديدا على السلطنة الكثيرية ، فأصبح من المتمردين الخارجين على الشرع وأصبحت ثورته عندهم فتنة وأصبح قول العلامة بن عبيدالله عند هؤلاء هو (الشرع) وأصبح ابن عبيدالله هو المشرّع .

مع العلم ان وجود السلطنة القعيطية في ثورة بن عبدات يأتي ضمن مناصرة السلطنة الكثيرية بموجب المعاهدة الموقعة فيما بين السلطنتين ، وقد كلّفت هذه الثورة السلطنة القعيطية الكثير ولكن كان قيامها بدورها التزاما منها ومن وزيرها بما نصّت عليه المعاهدة ، واستمرت هذه الثورة مابين هدنة ونقضها ، وفجأة ظهرت على مسرح القضية حكومة عدن وأوقفت القتال إلاّ ان

الصراع والنزاع لايزال مستمرا بين المتخاصمين وبهذا التدخل أنقذت حكومة عدن السلطنة الكثيرية من ثورة ربما تؤدي الى اضمحلالها ونهايتها وفي هذه الأثناء بعد توقف القتال ، توفي السيد الوزير حسين بن حامد المحضار بالمكلا وتوفي الثائر عمر بن عبيد بن عبدات وتوفي سالم بن جعفر وبهذا غابت الأركان الأساسية للقضية في أوقات متلاحقة ومتسارعة .

إلا أنه وبعد وفاة هؤلاء جميعا ، لم تخمد جذوة الثورة في نفوس الثائرين ، فإنتصب عبيد بن صالح بن عبيد بن عبدات في مقام عمّه عمر وأخذ على عاتقه المهام التي حملها عمه من قبل وثبت ثبوتا أحرج السلطنة الكثيرية وهدد كيانها بعد أن هددها من قبل عمه عمر ، وفي ظل غياب الداعمين للسلطنة الكثيرية في هذه الثورة وعلى رأسهم وزير السلطنة القعيطية أرسلت بريطانيا طائراتها فقصفت حصون بن عبدات وأخمدت ثورته فأسرت هذا الثائر ونفته ، والملاحظ ان بريطانيا لم تقدم على القصف بالطائرات في الثورة الأولى مع صمود عمر بن عبدات الا أنها اقدمت على ذلك في ظل غياب أولئك الرجال ممن وافتهم منيتهم وغيبتهم عن مسرح الأحداث .

والجدير بالذكر ان السلطنة الكثيرية ومن أحاطها من فقهاء (الشرع) أنهم لم يستعظموا بشاعة صنيع بريطانيا وقصفها بالطائرات طالما يؤدي بالضرورة الى اخماد ثورة بن عبدات (الخارج على الشرع) كما يحلو لأهل الأهواء ، في الوقت الذي لم تلجأ السلطنة القعيطية للحكومة البريطانية مطلقا خصوصا في مثل هذا ، فقد حدثت فتنة الحموم وأحداث حجر وصمود أهلها في حوته ودحرت قبائل نوح العظيمة جحافل جيش القعيطي ولم تطلب السلطنة القعيطية من الحكومة البريطانية دك حجر بالطائرات وقصف أهلها كما صنعت في أراضي الدولة الكثيرية فرضيت

السلطنة (الحضرمية) الكثيرية بقتل أبناء العمومة وقصفهم بالطائرات ولم يفعله (الغرباء) في كثير من الفتن والتمردات في السلطنة (القعيطية الأجنبية) وهذه من المفارقات التي تستحق النظر اليها والوقوف أمامها والتذكير بها .

وفي يوم : ١١/ ١٠/ ٢٠١٠ ميلادية كتب في المشاركة رقم (٢٣) مانصه :

(والحديث بالحديث يذكر هناك في المقابل السلطنة الكثيرية حيث يتمتع سلاطينها آل كثير برؤية أكثر نضجا واقعية ، وهي بالحق تمثل ضمير وتراث حضرموت ورمز الوطنية الحضرمية) أهـ

قلت : هذا القول يؤكّد ما قلناه آنفاً بأن كاتب هذا الموضوع أراد الخلوص الى هذه النتيجة من كل هذا البحث المهترئ ، فزعم بأن سلاطين آل كثير يتمتعون برؤية أكثر نضجا وواقعية ونحن نقول : ان سلاطين آل كثير والسلطنة الكثيرية برجالاتها يجب أن تكون في موضع الإحترام والتقدير ، خصوصا أنهم يشكلون جزءً هاما من تاريخ حضرموت السياسي ولكن لايجب أن يقوم احترام هذه السلطنة وأولئك الرجال من خلال الحط من قدر السلطنات الأخرى وغمط الآخرين فالتاريخ يجب أن يقرأ قراءة واقعية لاقراءة تقوم على التحامل والعنصرية والميل والهوى .

وحتى نقرأ ما كتبه قراءة لاتركن الى الهوى والميل وانما على تحليل واقعي متجرّد نقول : ماقاله فيه مبالغة وتكلّف ظاهر ، يكشفها التحليل ويثبتها الدليل ، مع اقرارنا بإحترام من وصفهم بنضوج الرؤية والواقعية وهم يستحقون كل التقدير إلاّ ان مايقوله ليس على اطلاقه ، وهناك أخطاء وملاحظات يجب طرحها ومناقشتها بكل تجرّد ، فأين ذهب النضج في الرؤية والواقعية

عندما قصفت بريطانيا بطائراتها أبناء عمومتهم ؟ هل هذا من النضج والواقعية أم من الوحشية والبربرية الهمجية ؟ فما هذا إلاّ انموذجا واحدا يدل على الاستبداد والطغيان والإستعانة بالمحتل البريطاني لضرب أبناء العمومة والأهل من أجل شهوة السلطة والحكم ، إلاّ اننا في هذا المقام لايمكن أن نرى إنكارا من كاتب هذا الموضوع ومن يغرّدون في سربه ، ونرى انكارهم يقوم فقط على المستبد اليافعي الأجنبي ، مع أنه لم يقصف يوما بالطائرات ولم يلجأ الى طلب ذلك ، فالظلم والطغيان هو نفسه مهما كان مصدره وعلينا انكاره ونبذه إن كنّا من الأسوياء ومن لم يكن سويا فلا يرجّى ذلك منه .

ثم أين النضوج في الرؤية والواقعية أمام ثبات عمر بن عبدات ومن ثم عبيد بن صالح بن عبدات الذين هددوا بثورتهم كيان السلطنة الكثيرية وزلزلوها ، هل النضج المزعوم هو اللجوء لبريطانيا وطلب القصف من طائراتها ؟

ومن الجدير ذكره في هذه الوقفة ان السلطنة القعيطية بكامل مواردها لاتساوي دخل رجال معدودين من أثرياء آل كثير في حضرموت والمهجر ومع ذلك لم تتكمن رغم ثروة رجالاتها من الوقوف في وجه الخصم الأجنبي هذا أولا .

ثانيا : رغم تواجد هذه السلطنة الحضرمية في منطقة جغرافية تعج وتكتظ بالعلماء إلاّ أن هذه السلطنة لم تستطع أن تختار لها وزيرا حاذقا كما ظفرت السلطنة القعيطية بالسيد الوزير حسين بن حامد المحضار ، ولو استطاعت أن تستوزر وزيرا في تلك الفترة تحديدا بكفاءة السيد الوزير

المحضار مع قدرتها المالية لكان لها دورا بارزا في مقارعة السلطنة القعيطية ولما رضيت بالظلم والغبن الذي لحقها في المعاهدة التي خرجب في مجملها لصالح القعيطي ، ولكن من حولها من العلماء أمّا أنهم ليسوا موضع ثقة ولاة الأمر من السلاطين الكثيريين أو أنهم لايثقون في ولاة الأمر أو ان هناك خلافات فكرية وعقدية وسياسية متجذّرة بينهم فإنعدمت الثقة بين الحاكم والمحكوم ولم يبرز من أولئك العلماء والفقهاء من ينهض في خدمة تلك السلطنة الحضرمية كما نهض السيد الوزير المحضار في السلطنة القعيطية .

ثالثا : من أهم أسباب ضعف السلطنة الكثيرية أمام خصمها السلطنة القعيطية كثرة التناحرات بين أمرائها والانشقاقات التي تحدث بينهم في الوقت الذي سلمت منه السلطنة القعيطية فزادها قوة ولم تسلم منه السلطنة الكثيرية وهذا مما أصابها في مقتل وجعلها في حالة من الضعف أمام خصمها العتيد ، وقد يكون هذا الجانب وبروزه بين أمراء آل كثير سببا في إحجام الكثير من العلماء الذين تعج بهم السلطنة من النهوض بهذه المهمة خصوصا أنهم يرون التناحر والانشقاقات والتخاذل فيما بين أجنحة الأسرة في حدودها الضيقة أو الواسعة .

ثم استطرد في نفس المشاركة قائلا :

(لهذا لا غرابة حين اختار سلاطين هذه الدولة الحضرمية رجلا علويا شريفا من ابناء حضرموت ليتولى سكرتيرية السلطنة الكثيرية وهي درجة وظيفية عالية تقابل درجة وزير السلطنة في السلطنة القعيطية ، تلك الشخصية تعد من رموز الاصلاح في المجتمع الحضرمي ، انه السيد

محمد بن هاشم الذي في بيت علم بقرية المسيلة بالقرب من تريم ، وهذه الشخصية الحضرمية صاحبة المشاريع التربوية في جاوة وحضرموت ، والاب الروحي للصحافة الحضرمية المهجرية ، عرف كمثقف من طراز رفيع وكاتب حصيف ومؤرخ قدير ، وعلم من اعلام النهضة الحضرمية الحديثة) أهـ

قلت : قد كان قبل مجيء السيد محمد بن هاشم بن طاهر العلامة بين عبيدالله السقاف رحمه الله تعالى ويسكن على مرمى حجر من قصر الحكم للسلطنة الكثيرية ، ولم يكن موضع اختيار سلاطين آل كثير ولو كانوا يرونه كذلك لوقع اختيارهم عليه ، بل لم يكن لأحد من الأسر العلوية الرغبة في ذلك وهذا يدل على حالة فقدان الثقة بين الطرفين ، ولو كانت الأمور بينهما تسير في الحالة الطبيعية لكان للسلطنة الكثيرية في تلك المرحلة تحديدا وزيرا يتمتع بكفاءة ودهاء وحنكة السيد الوزير المحضار رحمه الله تعالى .

علما ان السيد محمد بن هاشم عاش في المهجر كثيرا وهو على سعة اطلاعه وثقافته إلاّ انه قليل الخبرة والمعرفة بظروف السلطنة ولم يكن على دراية تامة بالمناخ السياسي العام وقتئذ ، ولم يعيّن كوزير مفوّض أو بنفس المرتبة التي كان عليها السيد الوزير المحضار في السلطنة القعيطية كما يزعم هذا ويقيم هذه الدعاوى الفارغة في قوله : (لهذا لا غرابة حين اختار سلاطين هذه الدولة الحضرمية رجلا علويا شريفا من ابناء حضرموت ليتولى سكرتيرية السلطنة الكثيرية وهي درجة وظيفية عالية تقابل درجة وزير السلطنة في السلطنة القعيطية) أهـ ، فهذا كذب صريح ومبالغة مفضوحة .

ولإسقاط هذه الدعاوى التي يقيمها هذا ننقل ما كتبه الأستاذ الباحث محمد بن أبي بكر باذيب في : (مقالات الأستاذ محمد بن هاشم العلوي) قال مانصه :

(ومما لاريب فيه أن الذين يرقبون حوادثه يرون تتابع ذهابه الى سيوون منذ سنة ١٣٥٥ هجرية والمكث بها الأيام بعد الأيام ، كسكرتير للجنة الوطنية والشؤون القضائية ، كما في أخريات حياة السلطان علي بن منصور كان يستعين به في الشؤون التاريخية ، ثم استعان به السلطان جعفر في ذات الشؤون الكتابية عقب اعتلائه عرش السلطنة الكثيرية في أواخر شعبان سنة ١٣٥٧ هجرية[1]) أهـ

من ذلك يتبيّن لنا مجازفات هذا في أقواله ومن أهم تناقضاته وتشهيه ، هذا الثناء الكبير على السيد الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر رحمه الله تعالى وهو أهل لذلك الثناء دون ريب ، ولكننا نريد أن نلقي الضوء على نقطة هامة يقف فيها القارئ الكريم على تحكّمه وتناقضه واتباعه لهواه فهو هنا يصف الاستاذ محمد بن هاشم بما يستحق ، إلا أنه يحط في مقام السيد الوزير حسين بن حامد المحضار وينسب إليه ماليس فيه بالهوى والتحكم وخصوصا في اتهامه له بنظرته الاستعلائية على النساء ، ولكشف هذا الهوى والتحكّم نرجع قليلا الى ماتقدّم لنكشف ذلك مما كتبه بيده حتى تنهض الحجة عليه .

---

(١) من مقالات الأستاذ محمد بن هاشم العلوي : الصفحة / ١٣

قال فيما تقدّم عن السيد الوزير مانصه :

(تستقرأ من رد الشاعر حسين بن حامد على جده نظرته الاستعلائية على العنصر النسائي حتى ولو كن من أهل بيته) أهـ ، فقد ساق هذا القول لمجرّد أن رد السيد الوزير في حال صغره على جده قولا من الشعر فقال :

عسى لمن حال من رب السماء يستهِب ** وإلاّ الى المقــبرة كلن بشغبه يهب

قلت : مع ان السيد الوزير قال هذا في معرض الحديث عن نساء حبالى يخشى عليهن وعلى مصيرهن من الموت في ظل تردّي الأوضاع الصحية في حضرموت وقتئذ ، فرمى السيد الوزير واتهمه كذبا وزورا وتحكّما بالإستعلاء على العنصر النسائي . وبما أنه يرى أن السيد الوزير لديه نظرة استعلائية على العنصر النسائي فنقدّم اليه ماكتبه الاستاذ محمد بن هاشم مما أمر بجمعه تلميذه السيد محمد بن أحمد الشاطري ، واعتنى به الاستاذ الباحث محمد بن أبي بكر باذيب عند المقال بعنوان (العادات السافلة) مما كتبه الأستاذ محمد بن هاشم مانصه :

(والمرأة غير ملومة فيما تقترح ، لأن نظرها لايسقط بعيدا عما دون أنفها ، ولأنها تعتقد في نفسها تأدية رسالة الفن الى أربابه ، ولأنها لم تكن تحمل السيف مسلطا على رقاب المنفذين ، ولكن الملومين أولئك الأشخاص الذين يساوون المرأة في العقلية وفي كل شئ ويخالفونها في شعر الوجه وفي عضو التناسل ، فهم اناث لا أقل ولا أكثر ، غير أن لكل منهم .....[1]) أهـ .

قلت : مع ملاحظة الفراغ الذي لم يكتبه الأستاذ محمد بن هاشم واستعاض عنه بوضع النقاط فقط ، أترك التعليق للقارئ الكريم فيما قاله الاستاذ محمد بن هاشم وللمقارنة بين مزاعم هذا المتخفي واتهامه للسيد الوزير المحضار بالنظرة الاستعلائية للعنصر النسائي وبين ماكتبه ممدوحه الأستاذ محمد بن هاشم وأين نجد النظرة الاستعلائية في قول الرجلين ؟

ثم استطرد في نفس المشاركة قائلا :

(توفى السيد محمد بن هاشم سكرتير السلطنة الكثيرية بعد أن ترك بصماته على الحركة التعليمية الحديثة في حضرموت وعلى الصحافة الحضرمية ، وترك للمكتبة الحضرمية مراجع ثقافية

---

(١) من مقالات الأستاذ محمد بن هاشم العلوي : الصفحة / ٨٨

وأدبية وتاريخية مهمة منها كتابه (حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية) .في المقابل توفى السيد وزير السلطنة القعيطية السيد حسين بن حامد المحضار وقد ترك من بعده للتاريخ مساجلتين مع الشاعر باشعفين ، وعدة مساجلات مع السيد بن عبيدالله وزوامل يستقوي بها بيافع الثقلين وعبيد السلطان) أهـ .

قلت : رحم الله تعالى السيد الأستاذ محمد بن هاشم والسيد الوزير حسين بن حامد المحضار وأسكنهما فسيح جنانه ، أما قوله بأن الاستاذ محمد بن هاشم ترك للمكتبة الحضرمية مراجع أدبية وتاريخية منها كتابه (حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية) فمن هنا يُعرف سر هذه الإشادة بالأستاذ محمد بن هاشم كونه سجّل للدولة الكثيرية تاريخا في كتابه ، واذا عرف السبب بطل العجب كما يقال .

أما قوله بأن السيد الوزير المحضار ترك مساجلتين مع الشاعر باشعفين وبعض الزوامل فهذه مغالطة كبرى وجهل كبير يكشفه التحليل والتحقيق ، فالأستاذ محمد بن هاشم ترك مايشرح حال دولة كانت تعيش على بضعة كيلومترات في حضرموت وكانت تتهدد كيانها الحوادث والتهديدات من كل حدب وصوب ، أما السيد الوزير حسين بن حامد المحضار فقد ترك ما لولاه ما عاشت هذه السلطنة الكثيرية وتسارع انهيارها ، فقد عقد صلحا حقن به دماء المسلمين في حضرموت من رعايا السلطنتين القعيطية والكثيرية ، وقد اشاد بهذا الصلح كبار علماء حضرموت وباركوه وامتدحوا السيد الوزير على ذلك ومنهم العلامة بن عبيدالله نفسه حيث قال عن هذا الصلح في قصيدة له مانصه :

واليوم أتممت عقد الصلح محتسبا ** هذا الصنيع فقرّت أعين الدولِ

آل المعجا الأولي شاعت مناقبهم ** وزاحمت في التعالي منكب الحملِ

تحـالفوا والقعيـطي الذي شهـدت ** له الليـالي بفضلٍ غير منتحلِ

وانجاب ماكان غطّى الحق بينهمُ ** وبدّل الصاب بالحلواء والعسلِ

حتى قال العلامة بن عبيدالله في مدح السيد الوزير والصلح مانصه :

بعـزمكم حقق الرحمن نيتـكم ** على القيـام بحفظ الأمن في السُبلِ

ان كان ذا قصدكم فالله ينصركم ** تمسي الصعاب لكم كالأينق الذلل

ولا يعـاديكمُ عـادٍ ليفتنـكم ** إلاّ رمى كفّـه الجـبار بالشـللِ

ولا أقول لهذا في مقام كهذا إلا ما قاله العلامة بن عبيدالله بتصرفٍ بسيط في بيته :

ولا يعـاديكمُ عـادٍ (ليهجـوكم) ** إلاّ رمى كفّـه الجـبار بالشـللِ

فهذا مما تركه السيد الوزير المحضار رحمه الله تعالى ، ومن خلاله حقن الله دماء المسلمين وأمنت الناس على حياتها ، فمن كان مساهما في حقن الدماء المعصومة لاشك أنه أجل وأنفع ممن ترك كتابا يؤرخ فيه لسلطنة يتحكّم بقراراتها بخيت عبدالخير أو غيره .

ثم ختم موضوع يوم : ١٢/ ١٠م٢٠١٠ ميلادية بالمشاركة رقم (٢٥) بمانصه :

(وفي ختام هذه الاضاءات لابد من الاشارة الى اضاءة حول جانب عقدي من حياة السيد حسين بن حامد البار وكما قال بن عبيدالله هي احسن مافيه : (واحسن مافيه حفظه لكتاب الله وحسن تغنيه به في الاسحار وانه لايدع احدا يخرج من عنده مكسور الخاطر) أهـ . وحسبه هذا وجعل الله القرآن له شفيعا عند ربه) أهـ .

قلت : ختم موضوعه هذا بما نقلناه آنفا من مشاركته رقم (٢٥) إلاّ أنه أخطأ في الإسم فبدلا من أن يكتب : (حسين بن حامد المحضار) كتب : (حسين بن حامد البار) وهذا مايدل على ضعف التركيز ، وبما أنه قد نقل شهادة العلامة ابن عبيدالله في السيد الوزير وقوله عنه : ان أحسن مافي السيد الوزير هو حفظه للقرآن الكريم وتغنيّه به في الأسحار وأنه لايدع أحدا يخرج من عنده مكسور الخاطر ، فيكفي هذا القول لهدم ماكتبه هذا الكاتب وماقاله العلامة بن عبيدالله نفسه

من حط من مقام السيد الوزير رحمه الله تعالى ، وفي ختام قراءتنا هذه نحمد الله ونشكره على أن هيأ لنا بعض الفرص التي اهتبلنا من كل منها دقائق معدودة فقط لنكتب هذه القراءة المتعجّلة ، والتي لم نخضعها لمزيد تمحيص وعناية فليعذرنا القارئ الكريم فيما قد يواجهه في سطورها ، وبما أن الصدفة شاءت أن نختم قراءتنا بشئ من أقوال الاستاذ محمد بن هاشم رحمه الله تعالى ننقل للقارئ الكريم كلاما له من أجل مايستشهد به في هذا الباب وهو قوله :

(هؤلاء هم الذين نُكبت بهم حضرموت نكبتها المستمرة التي أوقفتها في هذا الموقف الحاضر ، وهؤلاء هم الذين لايزالون يزجّون بأنفسهم ومن على شاكلتهم في مضائق لايلبثون أن يرتطموا فيها ارتطاما تختلف منه أضلاعهم) أهـ

وغفر الله تعالى للأستاذ محمد بن هاشم وللسيد الوزير المحضار وللعلامة بن عبيدالله ولسلاطين آل كثير الكرام والقعيطي الأمجاد ولكل من ذكرنا ممن رحلوا الى رحاب الخالدين وأسكنهم جميعا فسيح الجنان وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين .

كتبه بعجل

جمال بن محمد بن عبدالرحمن العطاس